



Amly ثروت أباظة

<http://arabiccivilization2.blogspot.com>



رءوس
فى السماء

مكتبة مصر

رعوس في السماء

تأليف

ثروت أباطة

Amy

<http://arabicivilization2.blogspot.com>

الناشر

مكتبة مصر

بمقرها بوزارة الثقافة
مشارع كامل صدقي، الفسحة
٥٩٠٨٩٤٠٥

مقدمة

إن التقديم لكتاب أمر فى غاية التعقيد للكاتب ، وهو أكثر تعقيدا إذا كان الكاتب يقدم لعمل له ، ويزداد الأمر سوءا إذا كان هذا العمل الذى يقدم له عملا فنيا . وقد ظللت عمري أعتقد أن الكاتب الذى يقدم لعمل فنى له ، كأنه يعلن القراء بشيء من شينين : إما أنه عجز عن قول ما يريد قوله بعمله الفنى المجرد ، وإما أنه يعلن القارئ بأنه لن يستطيع التغلغل إلى أعماق فنه ليصل إلى المعانى العميقة التى يحتويها هذا العمل . ولست أدرى أى الإعلانين أكثر سخافة من صاحبه .

ولكننى مع ذلك أعتقد أن هذا العمل الذى بين يديك يحتاج إلى تقديم ، فهى المرة الأولى التى ألتقى فيها بك بعمل مثل هذا ، فهذه تمثيلات إذاعية كتبها جميعا لتذاع . والتمثيلية الإذاعية - كما تعرف - تعتمد على الأذن ، فشأنها شأن الأغنية النص فيها جزء من العمل وليس العمل كله . فالنص الروائى أو نص القصة القصيرة نص تكتمل جوانبه بمجرد انتهاء الكاتب منه ، أما النص الغنائى والإذاعى فنص تبدأ مقدماته بانتهاء الكاتب منه ، ويظل ينتظره بعد ذلك المخرج أو الملحن والممثلون أو المغنى . ولكن أليس هذا شأن الأعمال الدرامية جميعها ؟ وهل هناك ما يمنعك أن تقرأ القصيدة الغنائية وتستمتع بها دون اللحن والأداء ؟ أو هل هناك ما يمنعك من قراءة المسرحية والاستمتاع بها دون الإخراج والتمثيل ؟

بل إن جان بول سارتر يذهب إلى أبعد من هذا ، فيقدم إليك فى كتاب مقروء (سيناريو) أعده للسينما ، وقد قرأته أنا واستمتعت به غاية الاستمتاع .

ألا ترى معنى أن العمل الجيد حبيب إلى النفس ، مهما يكن الشكل الذى يقدم إليك فيه ؟ وأرجو ألا تعتقد أنى أركى عملى لديك ، فما أحسست بالخوف منك قدر خوفى وأنا أقدم إليك هذا الكتاب بين يديك ، ومصادر الخشية كثيرة ! فقد كنت أكتب هذه التمثيليات وأنا لا أفكر إلا فى أذنك ، والأذن لا تمسك بالكلمة وإنما تسمعها وتلقى بها فى سرعة خاطفة إلى العقل الذى ما يلبث أن ينتظر الكلمة التالية . ثم هأنذا أقدمها إلى عينك الواعية لتنعّم فيها النظر ثم تنعم ، وتعرضها بعد ذلك على عقلك فى هدوء واطمئنان ودعة ، ويروح عقلك يفكر فيها لا يشغله شيء . ولا بأس عليه أن يقبل الوقوف ويطله وماذا وراءه ؟ .. الكتاب فى يده ويستطيع الكتاب أن ينتظر الأجيال ، فأنا هنا ألتقى بك فى موقف لم أعد نفسى له ، وكل ما أتمناه أن أنجو من سخطك لأفوز ببعض من رضائك ، أو لأفوز - على الأقل - بالنجاة من السخط .

وأنا أخشى أيضا من الجملة التى كنت أتوخى فيها شيئا من الموسيقى اللفظية لعلها ترضيك عند السماع ، ولا أدرى كيف ستستقبلها عند القراءة ؟ وأخشى من الانتقالات السريعة التى تعتمد عليها التمثيلية الإذاعية ، ولم تألفها التمثيلية المقروءة .

أشياء كثيرة أحشاها ولكن ألا تحف الخشية بكل تجربة جديدة ؟ وإنى أجرب معك هذه التجربة ، وفى التجربة يجب أن يتكاتف مقدم التجربة مع متلقيها . فما عليك لو أنك أعنتنى بالصبر تكافئى به هذه الخشية التى أحسها منك ؟

ولقد شجعتنى على القيام بهذه التجربة اللغة التى كتبت بها هذه التمثيليات ، فاعتقادتى أن النص إذا كان مكتوبا باللغة العامية يصبح من العسير تقديمه فى كتب . فإن وجود لغتين فى أدبنا يضيع على هذا الأدب كثيرا مما هو جدير بالنشر . فمهما يدافع كتاب العامية عنها فإنهم لم يستطيعوا حتى الآن أن يقنعوا

القارئ أن يقرأ الأدب العامى . لا يستطيع القارئ أن يقرأ العامية ، فهى مقروءة تصبح بالنسبة إليه لغة جديدة ، ولعل هذا هو السبب فى أن كتاب التمثيلية الإذاعية لم يقبلوا على نشرها .

وقد شجعتنى على تقديم هذا الكتاب إليك أنى كتبت التمثيليات جميعها باللغة العربية ، ولن تجد تنافرا بين الشخصيات واللغة التى يتكلمون بها ، فهم جميعا يعيشون فى أزمان كان الكلام المنطوق فيه عربيا خالصا .

وشجعتنى أيضا أنى قلت فى نفسى إن التمثيلية الإذاعية تعتمد على الأذن وحدها حين يستقبلها المستمع ، ثم هو يهين بعقله وخياله المنظر والحركة . فماذا عليه لو أبدل الأذن بالعين وأبقى على عقله وخياله فى إنشاء المنظر وتأليف الحركة ؟ فالقارئ للتمثيلية الإذاعية مؤلف مع المؤلف ، كما أن المستمع لها يؤلف مع المؤلف .

لعلك أحسست من هذه المقدمة أنى أحاول أن أشجع نفسى على تقديم هذا الكتاب إليك . لا تكذب إحساسك ، فإن هذا ما أحاول أن أقوم به ، فإن رضيت فشكرا لله ، وإن لم فما علىّ بأس أنى حاولت وما التوفيق إلا من عند الله

ثروت أباطة

الفصل الأول

رعوس في السماء

المذيع : في قصر الخليفة " أبو جعفر المنصور " يجلس بين خاصته الأقربين .
إنهم يزنون كل كلمة ويتحسسون كل حرف .. إنه أبو جعفر المنصور مؤسس الدولة العباسية .. شديد كريم في شدته .. قاس رحيم في قسوته .. عادل جبار في عدله .. احذروا .. احذروا أن تغضبوه أيها القوم .. إنه المنصور .. إن الباب ليفتح .. إنه عبد الخليفة ، ماذا يقول ؟

الخادم : رجل يقول إنه من الشام يلتمس الإذن بالدخول في خطير من الأمر .

الخليفة : أوتعرفه ؟

الخادم : لا يا مولاي لم أراه قبل اليوم ، ولكن وجهه ينبئ عن جليل .. آذن له ؟

الخليفة : ائذن ...

أحد الجالسين : ألا يأذن مولاي لأحدنا يراه فيسأله عما يريد ؟

الخليفة : بل أراه أنا فما في ذلك ضير .

الخادم : (معلنا) إبراهيم بن علي من الشام .

إبراهيم : جئت يا مولاي في أمر أراه جد خطير .

الخليفة : نعم ، إنى أرى دلائل خطورته في عينيك .. أدل به .

إبراهيم : أدلى به على انفراد يا مولاي .

الخليفة : ولم ؟

إبراهيم : هو السر وأخشى أن يذيع .

الخليفة : إن من ترى هم حفظة سرى .

إبراهيم : ولكنه سرى يا مولاي ، وأخشى عليه أن يذيع .

الخليفة : حسنا إذن .

أصوات : أتأذن لنا يا مولاي ؟

الخليفة : لا بأس بكم ، انتظروني في الحجرة المجاورة (بعد فترّة يسمع فيها

أصوات خروج القوم وإقفال الباب) .

الخليفة : هات ما عندك .

إبراهيم : أنت يا مولاي تؤسس الدولة العباسية فتوطلد أركانها ، وقد سمعت

أن مولاي في حاجة إلى المال ؟

الخليفة : نعم ، لقد أنفقت أموالا كثيرة .

إبراهيم : في الشام رجل يدعى محمد بن القاسم ، لديه من المال ما تريد .

الخليفة : ويحك يا رجل .. أتريدني أن أسلب الناس أموالهم ؟

إبراهيم : حاشاك يا مولاي والعدل أساسك ، ولكن هذه الأموال ليست ملكا

لابن القاسم هذا .

الخليفة : فلمن هي ؟

إبراهيم : هي أموال بنى أمية استأمنوا هذا الرجل عليها ، فهي في بيته ، إن أمر

بها مولاي حملت إليه .

الخليفة : وأنت ما تفعلك ؟

إبراهيم : إن هذا الرجل يا مولاي قد أخذ يجمع الناس منذ أيام ، وقد ذهب

فيمن ذهب . إنه يدعوهم إلى الثورة يا مولاي ، وإن عنده من

الأموال ما يقيم به ثورات لا ثورة ، وخشيت أن يشعلها فتنة لا تخمد

فقصدت إليك تخمدها وهي بعد ما تزال هينة .

- الخليفة : (يصفق) يا مرجان ، ادع حمدان رئيس الشرطة .
مرجان : أمر مولاي .
الخليفة : وأنت يا إبراهيم انزل ضيفا على قصرى .
(موسيقى)
مرجان : حمدان رئيس الشرطة يا مولاي .
الخليفة : أريد نفرا من جنك الأقوياء ليذهبوا إلى الشام . هناك رجل عنده أموال ليست ملكا لابن القاسم هذا ..
المديع : يا لك من مسكين يا بن القاسم ، ترى أتدرى إلى أى دوامة ألقى بك القدر ؟ إنه أبو جعفر المنصور .. نعم معذور أنت حين تجلس إلى زوجك هذه الجلسة الهادئة ، ترسل نفسك على سجيبتها وشريكة حياتك إلى جانبك تغمرك بفيض كريم من حنوها ، فإذا أنت فى هدوء سايب وسعادة وهناء .. معذور أنت فما تدرى بعد أى لقاء ينتظرك وأى رجل ؟
الزوجة : لقد أسرفت على نفسك يا أبا القاسم فإنى لأراك مربد الوجه كعهدى بك إذا نال النصب من نفسك .
ابن القاسم : إنه خازنى .
الزوجة : صديقك الذى جعلته خازنك المشرف على تجارتك ؟
ابن القاسم : ومن غيره ؟ لقد تهيأت لى فرصة فما أدرى ألعنها أم أحمدها ؟ لقد كشفت فيه عن سارق حقير ولو كان قد سألنى ما سرق ما منعته ؟
الزوجة : إنها النفس الوضيعة يا بن القاسم وما لك فيها من يد .. كم ديناراً سرق منك ؟
ابن القاسم : ليس المال ما ألتنى ، ولكنها صداقة تخان وأمانة تهتك ونفس تنحط .

- الزوجة : وماذا فعلت به ، أسلمته للشرطة ؟
ابن القاسم : أهكذا تعهديننى أسلم صديقى للشرطة ؟
الزوجة : بل تسلم خائن الأمانة .
ابن القاسم : أولست أنا من أتمنه ؟
الزوجة : أو تسكت إذن ؟
ابن القاسم : وماذا أفعل ؟
الزوجة : حقا ما تفعل .. أنت ابن القاسم لا تفعل شيئا . ولكن لو كان غيرك فى مكانك ..
ابن القاسم : ولكن غيرى لم يكن فى مكانى .
الزوجة : نعم أنت على حق لقد كنت فى مكان نفسك .. لعلك أيضا لم تسأله لم سرق ؟ .. ولعلك أيضا أعطيته شيئا على سبيل المكافأة !
ابن القاسم : بل سألته هل سرقته ؟ فقال : نعم مبلغا احتجت إليه ، قلت : فخذ هذا عليه أيضا واترك خدمتى .
الزوجة : الله .. الله ما أضيعك لحق نفسك .
ابن القاسم : بل ما أحفظنى لحق الصديق .
الزوجة : ما أبصرك فى معاملة الخائن .
ابن القاسم : بل ما أقسانى فى معاملته .. ما كان لى أن أفضح فعلته .
الزوجة : وحق أولادك لا تزدد كلمة .. لقد كدت أجن .. قم على بركة الله فأصب بعض النوم بعد أن أصابك هذا النصب من الضمير .. قم فم .. أو انتظر حتى آتيك بشيء من الطعام أعدته لك .
ابن القاسم : ما أخلصك ! علىّ به .
قرع شديد على الباب

- صوت : باسم أمير المؤمنين أبي جعفر المنصور افتحوا الباب .
(جونج)
ابن القاسم : السلام على أمير المؤمنين .
الخليفة : لا سلام عليك يا بن القاسم .
ابن القاسم : سبحانه وتعالى .. لقد قال : وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها .
الخليفة : أو ردوها .
ابن القاسم : أراك فهمت من الرد عدم السلام ؟
أمير المؤمنين : على الخائن نعم .
ابن القاسم : رضى الله عن عمر .. لقد قال "البينة على من ادعى" .
الخليفة : واليمين على من أنكر .
ابن القاسم : فأين البينة ؟
الخليفة : فهل تقسم ؟
ابن القاسم : وهل أنكرت ؟
الخليفة : فأنت مقر ؟
ابن القاسم : فهل ادعيت ؟
الخليفة : أتكذبتى ؟
ابن القاسم : فيم يا مولاى .. أنا لا أعرف جريمتى ؟
الخليفة : لا تعرفها .. ففيم كلامك ؟
ابن القاسم : أنا لا أتكلم ، بل أجيب .
الخليفة : ألا تعرف فيم جئت من بلادك إلى هنا ؟
ابن القاسم : بل أعرف أن أمير المؤمنين أعزه الله أمر بي فجئت .
الخليفة : ألا تعرف أنك جئت لأسألك عن أموال بنى أمية التى تخفيها

- عندك ؟
ابن القاسم : أو تهمة هذه يا مولاى ؟
الخليفة : إن شئت أن تسميها كذلك فسمها .
ابن القاسم : فإن كان عندى مال ؟
الخليفة : فأنا أريده .
ابن القاسم : أدامك الله .. أوارث أنت لبنى أمية ؟
الخليفة : بل القيم على أموال المسلمين .
ابن القاسم : أدام الله الأمير ! فإن بنى أمية تجار عادت عليهم التجارة بالربح الأوفر .
الخليفة : أعلم ذلك ، ولكن ما شأنه وما نحن فيه ؟ كانوا أغنياء نعم .
ابن القاسم : رعى الله الخليفة فكيف يعرف أن المال الذى عندى من خالص ملك المسلمين وليس ملكا خاصا لبنى أمية ؟
الخليفة : الحرب تهدد المسلمين ونحن فى حاجة إلى المال .
ابن القاسم : أخون الأمانة إذن ؟
الخليفة : هذا شأنك .
ابن القاسم : بل شأنك ، فماذا أنت قاض إن حملت أمامك متهما بخيانة الأمانة ؟
الخليفة : خيانة الأمانة أكرم من خيانة الوطن .
ابن القاسم : ليس للكرامة شأن بالخيانة على أى نوع لها .
الخليفة : احمل هذا المال إلى لقد سئمت اللجاجة .
ابن القاسم : أهو أمر خليفة أم أمر قاض ؟
الخليفة : بل أمر مسلم يدافع عن دينه .

- ابن القاسم : تدافع عن دينك بالخروج عليه ؟
الخليفة : ماذا تقول أيها الرجل ؟
ابن القاسم : عفوا مولاي إنه الحق .
الخليفة : وما أدراك أنه الحق ؟
ابن القاسم : إن كنت مخطئا ، فسل قاضى القضاة وحكمه فيصل .
الخليفة : (يلتفت إلى القاضى) ماذا تقول أيها القاضى ؟
القاضى : أرى يا مولاي أن الرجل محق فيما يذهب إليه .. لا يخلص هذا المال إليك إلا عن طريق عادل أبدا .
الخليفة : إنه مال الخونة .
القاضى : لا يصادر الشرع مال الخونة .
الخليفة : لقد خرجوا على الشرع .
القاضى : بل خرجوا على بنى العباس وحتى لو كانوا خرجوا على الدين .
أرأيت النبى يأخذ من الكفرة غير الجزية ؟ .. لقد كان فى نطقهم بالشهادة الموحدة خلاص لهم من دفع الجزية .
الخليفة : أأترك الخونة يعبثون بالأموال فى بلاد الله ؟
القاضى : إن الله يأمر بالعدل والإحسان وليست مصادرة أموالهم من هذا فى شىء .
الخليفة : ولكننى أريد هذا المال .
القاضى : فمر به أمر من لا ينظر إلى العدل .
الخليفة : وماذا يقول الشرع ؟
القاضى : الشرع يقول : ما جاء عن طريق محرم فهو محرم ومرتكبه آثم .
الخليفة : فالمال له ؟

- القاضى : له ومن بعث محمدا بالحق .
ابن القاسم : ليس لى يا مولاي فليست فى حاجة إليه ، ولكنه لبنى أمية .
الخليفة : لك أو لهم إن الأمر لم يعد يهمنى ، ولكن أتظننى تاركك تبعث فى الأرض وتشعلها ثورات ؟
ابن القاسم : فماذا أنت فاعل بى يا مولاي ؟
الخليفة : سأسجنك .
ابن القاسم : وتهمنى ؟
الخليفة : إشعال الثورات فى الشام وتأليب على حكم العباسيين والتحيز لبني أمية .
ابن القاسم : فهل عند مولاي دليل لأى تهمة من هاته التهم ؟
الخليفة : لقد أدلى لى بذلك من لا تكذب شهادته .
ابن القاسم : آأخذ بشهادة واحدة من شخص لا أعرف حتى اسمه ؟
الخليفة : ذلك شأنى .
ابن القاسم : ولكنك خليفة الله فى الأرض .
الخليفة : لقد أسمحت لك فى المال ، فأما أن أتركك فدون هذا الموت .
ابن القاسم : الأمر لك فى ذلك ، ولكن لى عيالا وزوجة ، ألا يسمح مولاي بمن يخرهم ؟
الخليفة : ولا هذا فإن سجنك لن يطول ، وسوف أتحرى أمرك حتى أتبين جلاءه ، فإن كنت بريئا أطلقتك ، وإن أدانتك الحجة قتلتك .
ابن القاسم : هيا الله لك السبيل العادل ، وكشف لك من أمرى ما استتر .
الخليفة : يشرفك أن ينكشف ما استتر ؟
ابن القاسم : كل الشرف .

- الخليفة : حسنا إذن .. على بحمدان رئيس الشرطة .
خادم : أمر مولاي .
الخليفة : سوف أبقىك عنده حتى يبين أمرك .
الخليفة : يا حمدان ، إن هذا الرجل أسيرك ، إن هرب فقدت حياتك .
حمدان : من (فى لهجة من عرف شخصا) أنت ؟
الخليفة : أتعرفه ؟
حمدان : (متلجلجا) لا .. لا يا مولاي لا أعرفه .
الخليفة : حسنا إذن ، سر برجلك وخذار يا حمدان .. خذار أن يفلت .
حمدان : يفلت .. وعمري يا مولاي (يقفل الباب)
موسيقى وبعد فترة
الخليفة : أين سجينك يا حمدان ؟
حمدان : أطلقتته يا مولاي .
الخليفة : أطلقتته .. ولم يهرب ؟
حمدان : أطلقتته ولم يهرب . أطلقتته يا مولاي .
الخليفة : حياتك دونه .
حمدان : وحياتي ملكك .
الخليفة : ويالك ! أبعده صادق خدمتك لى تخون أمرى ؟
حمدان : بل فعلت ما أوجب على كريم خلقك .. فعلت ما لم أفعله لقتلتنى .
الخليفة : ولكننى قاتلك بما فعلت ؟
حمدان : أحجب بها قتلة !
الخليفة : ويحك إن لك لشأنا !

- حمدان : وأى شأن . خرجت من عند مولاي ومعى أسيرى .
(موسيقى تدل على انقضاء فترة)
حمدان : مرحبا ابن القاسم نزلت سهلا .
ابن القاسم : مرحى بك حمدان .. أى سهل ذلك الذى نزلت ؟ هل بعد هذا
الوعر وعر ؟ شك ولا خيانة وسجن ولا تهمة . خليفة قاس يشيد
ملكه فهو أنحشى ما يكون عليه ، وصديق غادر يتجاهل صديقه
وهو أحسن الناس معرفة به .
حمدان : أنت محق فى كل ما تذهب إليه ، ولكن أين الصديق الذى تجاهل
صديقه ؟
ابن القاسم : حقا إن أحدا من الناس لا يمكن أن يعرف نفسه .. أتجاهل هذا
يا حمدان أم جهل ؟
حمدان : جهل .
ابن القاسم : ألا تعرف الصديق الذى تجاهل صديقه ؟
حمدان : لعلك تعنينى .
ابن القاسم : وهل هناك غيرك ، ألم تتجاهلنى الآن أمام الخليفة ؟
حمدان : ألم تدر ما قصدت إليه بذلك ؟
ابن القاسم : أقسمت لم أدره .
حمدان : إنك أذكى من هذا .
ابن القاسم : يجول بذهنى أمر .
حمدان : هو ما يجول بذهنك قلبه .
ابن القاسم : لك الخير أتطلقنى ؟
حمدان : وما فى ذلك ؟ نعم فأنت طليق .

- ابن القاسم : إى والله إنه السهل الذى نزلت به .. ورأسك ؟
حمدان : فداك .
ابن القاسم : حمدان .
حمدان : نعم يا بن القاسم فداك رأسى .
ابن القاسم : ولكن الأمر لا يستقيم .
حمدان : بل يستقيم ولا تناقش .. اذهب ... اذهب فأنت طليق .
ابن القاسم : لست فاعلا يا حمدان .. لست فاعلا .
حمدان : إن لم تفعل قتلت نفسى بين يديك — أأحمل جميلا ولا أردته ؟
اذهب يا بن القاسم .. اذهب أقسمت عليك .. أقسمت .
ابن القاسم : أقسمت أنا لا تقسم فأنا ذاهب .. ذاهب يا حمدان ولن أنسى ..
حمدان : فى حفظ الله .
ابن القاسم : وبقيت فى حفظه .
- (تنتهى الموسيقى)
- حمدان : وهكذا يا مولاي أطلقت الأسير .
الخليفة : أجبنت يا حمدان ؟ أتقص على هذه القصة ولا أدرى سبب إطلاقك له ؟ .. إلا أنه رفض أن تطلقه .
حمدان : ليس هذا يا مولاي .
الخليفة : فلأنك تعرفه ؟
حمدان : نعم مولاي هو ذاك .
الخليفة : الله الله فى الخلافة أصبحت معرفتك بشخص كافية للخروج على أمرى .
حمدان : معاذ الله يا مولاي ، مر بأولادى أقتلهم بين يديك .

- الخليفة : تكلم إذن ، ما الذى حملك على ما فعلت ؟
حمدان : قصة طويلة يا مولاي .
الخليفة : قصها .. قل .
حمدان : تذكر يا مولاي يوم أرسلتني إلى الشام فى حملة تأديبية .. كان الجنود معى قلة ، وكنت قد أرسلت أطلب المدد ، وقبل أن يصل هجم الأعداء هجمة شديدة مزقت القلة الضعيفة التى معى ، وأزعم الأعداء قتلى فجريت فى الأزقة وهم خلفى ولا أعرف أين أختفى حتى صادفت بابا .. هو باب .. هو باب ابن القاسم هذا .. باب يا مولاي دخلت إليه .
- (موسيقى)
- ابن القاسم : عرفت المنزل يا أبا العرب .. ادخل هنا .
حمدان : يجدوننى .
ابن القاسم : ادخل سوف أمنعهم .
حمدان : ليس لك بهم طاقة ، إنهم العدد الكثير .
ابن القاسم : حسنا .. حسنا .. ادخل حتى أقفل الباب بالمزلاج .
(صوت باب يقفل يتبعه لغط كثير)
- أصوات : نعم رأيته يدخل هذا البيت .
صوت : أين الرجل يا بن القاسم
صوت : الذى دخل هنا .
ابن القاسم : لم أره .
صوت : لقد رأيناه .
ابن القاسم : كذبت رؤيتكم .

- صوت : نفتش البيت حجرة حجرة .
ابن القاسم : أمن حقكم هذا ؟
صوت : بل هو واجبنا .. إنه قائد الحملة التأديبية .
صوت : أسلمه لنا يا بن القاسم لنؤدبه نحن .
ابن القاسم : كرما منى أترك البيت ... فتشوا فإن وجدتموه فهو لكم .
صوت : ابحت في هذه الغرفة .
صوت آخر : وأنت فنقب هذه الحجرة .
صوت : وأنت فاذهب إلى أعلى المنزل .
أصوات : لم نجد أحدا .. إنه ليس هنا .
صوت : بقيت هذه الحجرة افتحها .
(صوت محاولة لفتح باب)
ابن القاسم : اقصروا .. إن زوجتي هنا .
صوت : لا بد أن ندخل الحجرة ولتحجب زوجتك .
الزوجة : (يظهر صوتها خارجا من خلف الباب) احسنوا أيها الرجال !
كيف يذهب بكم الظن أن أدخل غريبا إلى حجرتي وأبقى معه
وزوجي بالمنزل وأنا من تعرفون جميعا نسبها . ألا تحجلون ؟
تسبونني في منزلي ؟
صوت : لقد ألقمتنا ما لا طاقة لنا به ... إنها على صواب .
آخر : لا شك في ذلك لقد أخطأنا في شأنها .
آخر : فماذا تنتظرون إذن ؟ هيا اتركوا منزل الرجل . إن ابن القاسم
لأعز علينا من أن نغضبه .
آخر : لا بد أن الرجل قد ذهب إلى منزل آخر .

- آخر : فيم بقاؤكم إذن ؟ هلم بنا ..
أصوات : (خارجة) هلم .. هلم .
حمدان : أنقذتني أنقذك الله .
الزوجة : لا تقل .. إن هذا بيت الغريب .
حمدان : نعم إنه البيت .. ملجأ الملتجئ وحمى المحتمى . أبقاك الله لزوجك
وأبقى لك زوجك ، ومد عليكما في هذا البيت ظلال الخير المقيم
وشعاع البركة الدائمة ... أبقاكم الله .
(موسيقى)
حمدان : وأنقذت - يا مولاي - وكان هذا الرجل الذي عهدت إلى به هو
من أنقذني ولم أره قبلها .. أدخلني إلى حجرة زوجته وهو
لا يعرفني ، وأنقذني من موت محقق وهو لا يعلم منى شيئا غير
ما قلته .. أفلا أطلقه ؟ .. ألا أرد المعروف بشيء منه ؟
الخليفة : وتحالف أمرى ؟
حمدان : بل أطيعه .
الخليفة : أتطلق الرجل وتطيعني ؟
حمدان : أطيع روح أوامرك وأخالف صريحها .
الخليفة : أو تأمر روح بشيء يخالف صريحها ؟
حمدان : يا مولاي ، إنك لم تعرف ما فعله لي هذا الرجل ، فإذا أنا أطلقته
فمعمد على خلق كريم فيك يأبى أن أبقى المعروف على كنفى
لا أزيح بعضه منه .. كنت واثقا أنك حين تعلم ما فعله هذا
الرجل لأجلى ستعفو عنه ..
الخليفة : ولكنه أمر رئيس وأنت رجل حرب .

- حمدان : ولكن الرئيس أبو جعفر ، وأنا إنسان قبل أن أكون رجل حرب .
الخليفة : ما هكذا تقوم الدول .. سأسجنك حتى أرى فى أمرك .
حمدان : القتل أهون يا مولاي .. أيقوم بجراستى من كنت رئيسا له ؟
الخليفة : أقتلك إذن ؟
حمدان : ذلك شأنك ، منذ متى كنت ملكا لنفسى ؟ لقد عشت سيفا لك
إن شئت رميت بى أعداءك أو شئت أعدمتهنى أو شئت حطمتنى .
صوت : بل تبقى فى يده يحطم بك أعداءك ويذود بك عن الدين ،
ولا زلت السيف المشرع فى سبيل الله .
(موسيقى)
حمدان : من .. ابن القاسم .. ماذا أتى بك ؟
ابن القاسم : رأسك .. أفضلها عن جسدك لأنعم أنا بالحرية ؟
الخليفة : إنك والله لرجل .. فمن أدراك أنى لن أقتلك ؟
ابن القاسم : وما أدراك يا مولاي أنى أطمع فى عفوك ؟
الخليفة : لا والله لا أقتلك أبدا .
ابن القاسم : فاعلم إذن يا مولاي أنه لا مال عندى لبنى أمية ، وإنما أنا عباسى
معروف بنسبتي لك .
الخليفة : ويحك لِمَ أخفيت هذا ؟
ابن القاسم : إن كنت أخبرتك به تصدقنى ؟ وإن كنت قلت لك أن لا مال
عندى لبنى أمية كنت تصدقنى ؟
الخليفة : كنت أبحث .
ابن القاسم : وإذا لم تجد ؟ .. إنما كنت تعتقد أننى أخفيت المال فى مكان
لا تصل إليه يمين .. لا يا مولاي إنما جئت أدافع الحجة بالحجة
والدليل بالدليل ، وأنت العدل العادل ...

- الخليفة : إنك والله لأكثر عقلا من أن تقيم ثورة .
ابن القاسم : لى رجاء .
الخليفة : قلبه .
ابن القاسم : من الواشى ؟
الخليفة : رجل من الشام يدعى إبراهيم بن على .
ابن القاسم : لقد كان خازنا لى صديقا .. اختلس منى بعض المال فأخرجته
وأعطيته بعضا آخر .
الخليفة : اسمع أيها الرجل ، لقد جعلتك خازنا لأموال الدولة وجعلت هذا
الواشى بيدك فافعل به ما تريد .
ابن القاسم : إلا هذا يا مولاي فإن له أولادا وزوجة .. أبقه يجر عليهم الرزق ،
أجرى الله بالخير يمينك .
الخليفة : كما تشاء أيها الكريم ، وإذا أردت أمرا فبحسبك أن تعرف أنك
صديق الخليفة .
ابن القاسم : وحسبى شرفا .. أنا عبد الخليفة ملك يمينه ناشر فضله ذاكر
معروفه ، مهتد بهديه ملتتمس رضاه .. سلام على أمير المؤمنين .
المديع : هكذا .. أيها الرجل ، وهكذا أيها القائد ، وهكذا أيها الخليفة . بكم
وبأشباهكم إن كان لكم أشباه تقوم الدول ويعلو البناء ويشتد الأزر
وترتفع الهامات .. إنه الإباء .. إنه الترفع .. إنها الرجولة .. إنها
الكرامة .. إنها رءوس فى السماء .

أعظم الفتيان جمالا ، ممشوق القوام فكأنما أنت تمثال من تماثيل
الفرس ، أو إله من آلهة الإغريق .

سيف : أحبيت في زائلا يا إمامة ، فقد يزول الجمال ، وقد يغلظ القوام

فيحتم أمام عينيك تمثال الإغريق وإله الفرس .

إمامة : ويلي بربك ، لا تقل هذا ... لا بربك ... لا أطيق .

سيف : أما تحبين في غير القوام الممشوق ، والوجه الحلو ... ؟

إمامة : وأنت ماذا تحب في ... هيه ... ماذا تحب ؟

سيف : إجادة أنت في سؤالك ؟

إمامة : وما لي لا أجد ؟

سيف : لأنني أحبك جميعا .. أحبك إمامة .. بكل شيء فيك .. الظاهر

منك وما تسره الضلوع .. أحب وجهك وقوامك ، وخلقك

وردائك .. وأناملك الدقيقة هذه ، وخفقة عينيك وأنت تستمعين

إلى بابتسامة ثغرك ، وأنت فرحانة بكلامي ، وأحب هذه النونة التي

تبدو وكأنها توقيع خالقتك على وجهك بعد أن خلقت فأعجبه

ما خلق ، فأراد أن يشرفه بهذا التوقيع الحار الذي لا يبدو إلا مع

السرور والفرح والضحك . نعم هذه النونة ... أحبها ... أحبك

جميعا .. أحبك بلا استثناء ... أحبك كلا لا أستثنى منه جزءا ..

أحبك هكذا وما أظن أن الحب إلا هذا .

إمامة : (تضحك ضحكة صغيرة) وأما أنا فأحب ذراعيك المفتولتين ،

وأحبك تمشى في الحى فتشير صديقتاتي إليك هامسات ، ثم ترد

الواحدة منهن صديقتها عنك وتحذرها أن تقترب منك لأنك رجلى

أنا ، فكلهن يعلمن أنك رجلى أنا ، أحبك تذهب إلى الحرب ثم

الفصل الثاني

« الروح والشيطان »

سيف : (هامسا في حذر) بروحى أنت إمامة قصدت إلى والليل محاصر

الجوانب بأشعة القمر ، والعيون حوالينا مفتحة تعد علينا الخلجات .

إمامة : لا تحش العيون يا سيف ، فالعيون لا ترى إلا ما نبديه .. أما ما

تنضم عليه قلوبنا فهيهات للعيون أن تراه .

سيف : وكيف خرجت ، ألم يرك أبوك ؟

إمامة : لا ... لم يرني ... وكيف تعتقد أنى أتأخر عن مكان أنت فيه ...

اللّه لي يا سيف أنت لا تحبني ؟

سيف : لا أحبك ويلي ؟ ويلي من نفسك إن كنت لا أحبك ، نهاري

ظلام ما دمت بعيدا عنك ، وليلي شوك ما دمت لم أرك فيه ،

وفؤادى ممزق ما دمت لم ألاقك ، والناس بأجمعهم مهما يشتد بهم

الزحام فراغ في عيني ما دمت غير ناظر إليك .. كل حديث

لا تقولينه ، وكل كلام لا يتحدث عنك هذر من الهذر وسخف

وخرافة ... لا أحبك ويلي ، ويلي من نفسى إن كنت لا أحبك

... فماذا يا ترى يكون حالى لو كنت أحبك ؟ إمامة إنى أحبك .

إمامة : كلام ... أحسنت الكلام .

سيف : إذن فليس هذا هو ما ينبض به قلبك ؟ إذن فأنت لا تحبيني ؟

إمامة : لا أحبك .. فمن أحب ... إنك فتى الحى وفارسه ، وإنك البطل

المظفر ، وإنك الشجاع الذى لا يشنيه هول أو يرده جليل ، وإنك

تعود فيقول الناس إن سيفاً كان فارساً ، وأحبك أن يتحدث الرجال فيقولون ليس بين فتياننا من هو مثل سيف ... أحبك سيف .

سيف : فلو أن عروة ابن عمك سبقني في الفروسية ، ولو أنك سمعت صديقاتك يتهايمن عنه بينهن ، ولو أنه ذهب إلى الحرب ثم عاد فسمعت الرجال يتناقلون عنه الحديث ، ولو أنني مرضت يوماً فلم أسر بين صديقاتك ، إذن لتركتني إلى عروة إن كان السابق أو إلى أي فتى آخر إن كان هذا الآخر هو السابق ... أهكذا يا إمامة ؟

إمامة : سيف ، مالي أراك متشككا في حبي لك ؟ تشك في حبي وقد جئتك وقبلت اللقاء بك مرات ومرات والعيون حولنا من كل مكان ؟

سيف : لا أدري والله يا إمامة أجمت إلى أم إلى ذراعي المفتول وقوامي المشوق ، وحديث الناس عني وتهامس النسوة حولي . لا أدري يا إمامة .

إمامة : وما أنت ؟.. أأنت أنت ، أنت القوام المشوق والذراع المفتول وحديث الناس ، وتهامس النسوة ؟ أي فرق بين الاثنين ؟ لماذا تفرق بين نفسك وصفاتك ؟

سيف : أخاف يا إمامة .

إمامة : أخاف من نفسك .. أتغار من صفاتك ؟

سيف : إن كنت أحببت هذه الصفات وحدها فأنت تحبينها غدا في أي فتى يتصف بها .. أما إن كنت أحببتها في لأنها في فأنت تحبينني .

إمامة : تحيرني يا سيف ، فوالله ما أدري منذ متى ينفصل الإنسان عن

صفاته ويغار منها ؟ إنني أحبك يا سيف .

سيف : ما أشد خوفي من حبك وما أعظم حيرتي فيه .. أهو حب لسيف أم لذراع سيف ؟ لا أدري .

إمامة : لا أفهمك سيف الليلة ، فهلم بنا فقد أوشك القمر أن يرتحل وقد أوغل المساء ... هلم بنا .

إمامة : على لقاء يا سيف .

(موسيقى تصاحب المشهد)

سيف : إمامة .

إمامة : سيف ، أنت لا تدري ما حل بي .

سيف : ماذا ، ماذا حل بك ؟

إمامة : تركتك في آخر لقاء وسعيت إلى منزلي ، وقبل أن أصل إليه نبت لي من مكان خفي عروة ابن عمي .

(تنقطع الموسيقى)

عروة : من أين يا إمامة .

إمامة : وما شأنك يا عروة ؟

عروة : فشأن من إذن إن لم يكن شأنى ؟

إمامة : شأن أبى وأمى ... هل أنت أمى ؟

عروة : أمني تسخرين يا إمامة ؟

إمامة : فما تعرضك لي في الطريق وما سؤالك من أين وإلى أين ؟

عروة : فإني أعرف أين كنت وأنت ابنة عمي ، فإن تناولك الناس بشر فقد أصابني هذا الشر .

إمامة : فلا شأن لك بي .

- عروة : بل هو شأني ، وإنني ذاهب اليوم إلى أبيك لأخطبك .
 إمامة : اكشف الستار إذن عن نواياك ... فذلك إذن ما تريد .
 عروة : وأى عيب فى أن أطلب الزواج بابنة عمى ؟
 إمامة : وأى عيب فى ذلك ، ولكنك تهددنى بما تدعى أنك تعرفه .
 عروة : إنما أردت أن .. أستر عليك .
 إمامة : لا شأن لك بأن تستر علىّ .
 عروة : فإن كنت أحبك ؟
 إمامة : أتحب من لا يحبك ؟
 عروة : ألا تحبيننى يا إمامة ؟ كنت أكذب نفسى .
 إمامة : أما تعرف هذا ؟ بل لا تكذب نفسك .
 عروة : فماذا تكرهين فىّ ؟
 إمامة : وماذا أحب فيك ؟
 عروة : أأست فارس القبيلة وفتاها ؟
 إمامة : بل أنت من فرسانها وفتيانها .
 عروة : فمن الفارس فيها والفتى ؟
 إمامة : أما تعرفه ؟
 عروة : أظننى أعرفه .
 إمامة : بل إنك تعرفه .
 عروة : فى غد تسمعين عنى يا إمامة .
 إمامة : فدع حديثك إلى الغد حين أسمع بك .
 عروة : فى غد تسمعين .

(تعود الموسيقى)

- إمامة : أخاف أن يشى بنا إلى أبى يا سيف .
 سيف : ليس هذا ما أخشاه .
 إمامة : فماذا تخشى ؟
 سيف : (سارحا) ليس هذا ما أخشاه .
 إمامة : لقد أوعدنى .
 سيف : بل لقد وعدك .
 إمامة : ماذا تعنى ؟
 سيف : سيظل عروة ولا عمل له إلا المران على السيف والفروسية حتى يصبح فتى القبيلة .
 إمامة : ولكنك ستظل السابق عليه .
 سيف : والله لا أدرى يا إمامة .. والله لا أدرى .
 إمامة : وماذا أنت فاعل الآن ؟
 (تنقطع الموسيقى)
 سيف : يا أبا إمامة ... جئت أخطب إليك إمامة .
 إمامة : نعم الرجل أنت يا سيف ، وإنى قبلت ؟ (أصوات فرح وطبول)
 سيف : أحسنت الأيام إلينا يا إمامة .
 إمامة : أى زوجى الحبيب ... لقد أحسنت .
 سيف : سنجعل أيامنا كلها أفراحا .
 إمامة : أما أنا ففى فرح دائم .. بحسبى أن يقال عنى أنى زوج ، وبحسبى أن أراك فى جمالك الحلو هذا ..
 سيف : أما أنا فبحسبى أنى تزوجت من حبى ... أحسنت الأيام يا إمامة ... أحسنت الأيام .

(موسيقى تنتهى بصياح وضجيج)

صوت : ... إلينا فتیان القبيلة ... الحرب .. الحرب .

(يخف الضجيج)

إمامة : سيف، ... أنت ماض إلى الحرب ؟

سيف : نعم يا إمامة ، إنى ماض إليها .

إمامة : فعد سلما يا سيف ، وعد بطلا يا سيف .

سيف : اسألى ربك لنا الخير يا إمامة ...

إمامة : الخير رفيقك يا سيف .

(موسيقى)

أم عروة : أنت ماض إلى الحرب ؟

عروة : أجل يا أم .

أم عروة : فكن رجلا يا عروة .

عروة : أعرفتنى غير ذلك يا أم ؟

أم عروة : لا وربك يا بنى ... الله جارك يا ولدى ... الله جارك .

(موسيقى تنتهى بصيحة حرب)

صوت : عليك بسيف ... إن أنت قتلت سيفا انتصرنا .

آخر : وكيف لى بسيف ، وهأتندا تراه كالإعصار الجارف يدور فى

الميدان كاهول الميين ؟

الأول : نذهب إليه جماعة ونحيط به .

الثانى : نفعل ذلك ... هلم ... هلم أسعد ، هلم إسحق ، هلم أئمن هلم

جميعا ، أحيطوا بسيف .

(تعلو ضجة الحرب لحظة ثم تخفت)

سيف : الله معى يا أعداء الله ...

الأول : خذ هذه .

سيف : بل خذها أنت .

الثانى : فهذا إلى قلبك .

ثالث : الموت لك .

سيف : بل لك أنت .

رابع : تقدموا جميعا واضربوا .

سيف : آه .

عروة : لبيك سيف .. لبيك أخاه .. عروة إلى جانبك .

(موسيقى حزينة هادئة)

عروة : كيف هو الآن يا إمامة ؟

إمامة : يصحو لحظة ويغيب ساعات .

عروة : ابذل فى العناية به غاية الجهد يا إمامة .. لقد كان فارس الحرب

وفتها .

إمامة : بل سمعناه أنك أنت من كنت فارسها وفتها ؟

عروة : والله ما أحس القوم بى إلا بعد جرح سيف ، ولو لم يجتمع عليه

الأعداء ما استطاعوا أن يصيبوه .

إمامة : ثم قيل إنك كنت خيرا منه ؟

عروة : إنما الناس ألسنة تنطق بغير تفكير ... لا والله كان سيف خيرا من

حارب فى قبائلنا .

إمامة : ولكن الناس يمتدحون شجاعتك .

عروة : لأن سيفا جريح .. والناس أصدقاء القوى أعداء الضعيف ، يسيرون

- مع السائر ولا يرحمون من أعياء السير في سبيلهم .
- إمامة : تدم الناس وما ذموك ؟
- عروة : أقسم أنى لا أذمهم وإنما أصفهم ، ضعاف يحبون القوى ويتملقونه ، فإن ضعف نسوا قوته وانهاهوا عليه بألوان من الأكاذيب .
- إمامة : لك الله عروة ... ما أرى إلا أنك تدافع عن صديقك سيف .
- عروة : لم يكن سيف صديقى فى يوم من الأيام وإنما كان الأمل الذى أتطلع إليه والذى أرجو أن أصبح مثله .
- إمامة : وهأتذا قد أصبحت خيرا منه .
- عروة : كذب والله من قال هذا ، أين أنا من سيف ؟ .. أين أنا منه ؟ ..
- ارعى سيفاً فلم يبق منه إلا أنت بعد أن ماتت أمه .
- إمامة : حادثينى عن سيف وعن الناس وعن نفسك
- (متزودة) ولم تقل شيئاً عن غير هذا ؟
- عروة : (كمن فهم ويريد ألا يفهم) ماذا تقصدين يا إمامة ؟
- إمامة : أذكرك بحديث بيننا وتابى أن تذكره .
- عروة : أى حديث ؟
- إمامة : أما تذكر منه شيئاً ؟
- عروة : أذكر أننى حادثتك منذ أنت فتاة لم تتزوجى . عرضت عليك نفسى فأبيت .. ثم تزوجت يا إمامة فأى حديث بيننا ؟
- إمامة : ألا تريد أن تذكره ؟
- عروة : لا والله لن أذكره أبداً ... أذكره وأنت زوجة لخير فتياننا وزوجك هنا جريح ؟ جريح فى سبيلنا جميعاً ، لست الفتى العربى إن أنا ذكرته لك .. لا يا إمامة ، لا يا زوجة سيف .

- إمامة : وأين سيف منى الآن .. إنه مريض ، جريح ، غائب عن الحياة .
- عروة : بل إنه يملأ الحياة بسيرته وماضيه .. لا يا إمامة ، لا حديث بيننا أبداً ... سلام عليك ...
- إمامة : (فى لهفة) انتظر .
- سيف : (فى صوت ضعيف) إمامة .
- إمامة : لبيك سيف .
- سيف : من ذا الذى تحادثين ؟
- إمامة : إنه عروة يا سيف .
- سيف : مرحبا بالرجل .. أدخله يا إمامة
- (جملة موسيقية)
- عروة : أعانك الله يا سيف .
- سيف : أنقذتنى يا عروة ... لولاك لكنت الآن قتيلاً .
- عروة : لا تقل هذا يا سيف .. إنما أنقذت سيف قبيلتنا ، وإنما أنقذتك لنفسى يا سيف ..
- سيف : الله وحده كفيل بشكرانك يا عروة ... لا يا إمامة ... الله وحده هو الكفيل .
- (موسيقى)
- عروة : كيف حاله يا إمامة ؟
- إمامة : كما هو يا عروة .
- عروة : فسلام عليك يا إمامة .
- إمامة : أما تجلس قليلاً ؟
- عروة : اجلس إليك وأنت زوجة سيف ... لا يا إمامة .. سلام عليك .

- إمامة : عليك السلام .
- صوت : (صدى) وأنت زوجة سيف ... لا ... وأنت زوجة سيف لا .
- إمامة : سيف .
- سيف : (فى صوت ضعيف) لبيك إمامة .
- إمامة : طال بك المرض .
- سيف : أجل يا إمامة .. طال بى المرض .
- إمامة : وبعد يا سيف ؟
- سيف : أدرك ما بنفسك يا إمامة .
- إمامة : لقد كنت دائما الذكى اللبيب .
- سيف : أدرك كنت دائما الذكى اللبيب .
- سيف : لو كنت ذكيا ما تزوجتك يا إمامة ، ولكنه الحب يعمى فعميت ..
- كنت أدري أنك تحبين سيفى وذراعى ولا تحبينى ... كان يجب ألا أتزوجك يا إمامة .
- إمامة : قضاء الله يا سيف .
- سيف : بل قضاء الشيطان الذى فى نفسك يا إمامة . الله أرحم بعباده من الغدر بالمريض ، والتنكر للحريق ...
- إمامة : سيف .
- سيف : أنت طالق يا إمامة ... طلاقا بائنا لا رجعة فيه .. اذهبى يا إمامة واستغفرى الله كثيرا فما أظنه يغفر لك ...
- (موسيقى)
- إمامة : (فى لهفة) عروة إلى عروة .

- عروة : ماذا يا إمامة ؟
- إمامة : عودا إلى حديثنا يا عروة .
- عروة : بل لا عود والله .
- إمامة : (فى فرح من تخفى أمرا جليلا) ولماذا يا عروة ؟
- عروة : إنك زوج سيف .
- إمامة : فماذا تراك تقول إن هو طلقنى ؟
- عروة : أوطلقك ؟
- إمامة : ماذا تقول إن هو طلقنى ؟
- عروة : أجيبنى ... أطلقك سيف ؟
- إمامة : نعم .
- عروة : فأنت من طلبت إليه ذلك ؟
- إمامة : وما يهملك أنت ؟
- عروة : ويلك من الأيام يا إمامة ... ويلك من الأيام .
- إمامة : ألا تحبنى يا عروة ؟
- عروة : والله لو كنت أحبك قدر حبى للحياة ... لكرهتك الآن قدر كرهى للموت ..
- إمامة : عروة .
- عروة : أتطلبين الطلاق من زوجك الجريح ، لأنه جريح ؟ ومن أين لى أننى لن أرحم غدا ، فتتركىنى كما تركت زوجك ؟
- إمامة : فماذا أفعل يا عروة ؟
- عروة : اذهبى إلى كهف بعيد عن الناس وانقطعى عن كل من عرفك ، فأنتك تذكرين البشر بمقدار الشر الكامن فى نفوسهم ، والناس لا

الفصل الثالث

« عفو الملك »

- أبو القاسم** : هو الحب يا سامية يتزرقق فى دماء الكريم ، فتزداد كرما
ويتسرب إلى نفس الخبيث فتكرم ... هو الحب ذلك الجمال تعتذر
به الدنيا عن شرورها ... هو الحب بغيره لا حياة وبإجدابه
لا مياه .. هو الحب .
- سامية** : حسبك أبا قاسم منذ متى اتخذت الشعر صناعة .. إن ما تهيب
نفسك له من ملك وجاه وما يتطلبه هذا المكان من قسوة وقوة
لا يتفق وما تناسب به اليوم من شعر يكاد ينتظم .
- أبو القاسم** : إنما السلطان عاطفة وعقل ، إن فقدت واحدة منهما فلسست
بالحكم خليقا .
- سامية** : غبت عنى اليوم كثيرا .. فى أى العنصرين شغلك .. أهى العاطفة
أم هو العقل ؟
- أبو القاسم** : واللّه لا أدرى كيف أجيب ، فقد كان كلاهما منذ اليوم شاغلى .
- سامية** : (غاضبة) ويلك أبا القاسم أعاطفة ولا أراك فلمن ؟
- أبو القاسم** : (ضحكة مسرورة) لرجل ورب الكعبة .. لرجل .
- سامية** : (مستمرة فى غضبها) أكذا فمن ؟
- أبو القاسم** : قصدنى اليوم ابن إسماعيل .
- سامية** : ابن القاضى المتوفى ؟
- أبو القاسم** : أجل هو .

يجبون أن يذكروا الشر الكامن فى نفوسهم ... اذهبى بعيدا ...
لا يراك أحد واستغفرى الله وأطيلى الصلاة له ... فقد يغفر فهو
وحده الذى يغفر الذنوب .

- إمامة** : عروة .
- عروة** : لا تنطقى باسمى يا صورة الشيطان .. اذهبى إلى لا لقاء ... ولا
عودة .. لا كان يوم لقيتك فيه ولا كان يوم ولدت فيه ..
- (موسيقى)
- عروة** : سيف .
- سيف** : مرحبا عروة .
- عروة** : لقد جئت وأمى إليك نقيم لديك حتى يزيل الله عنك البأس .
- سيف** : بمثلك تجمل الدنيا يا عروة .. فلا حياة إن لم تعطر نواحيها
إن الدنيا كلها أصبحت شيطانا واحدا كبيرا بلا رجعة ولا خيم
ولا حب .
- عروة** : فداؤك نحن يا سيف .
- سيف** : بمثلك تجمل الدنيا يا عروة .. فلا حياة إن لم تعطر نواحيها بهذا
الروح الطيبة التى تسرى فى قلوب أمثالك .. مرحبا عروة ..
مرحبا بالحياة فيك .

(موسيقى - ختام)

- سامية : ماذا يريد ؟
أبو القاسم : فهو يخشى أن يعين في مكان أبيه غيره ، فجاء يرجوني أن أقص
إلى شريكى فى الإمارة وأزكيه لديه .
سامية : فنعن السعاية ، فقد كان أبوه من خير الناس وهو على نسج أيب
ينسج .. يقال عنه إنه واسع الاطلاع رحب التفكير ولولا بعض
الجشع فيه لامتنعت سيرته عن الثلب فما قال الأمير .
(موسيقى قطع) (فى قصر الخليفة)
خادم : أبو القاسم محمد أمير الدولة الشرقية وابن إسماعيل ابن القاضى
بالباب المتوفى .
الخليفة : مرحبا بالأمير زورة كريمة .
أبو القاسم : شفيعا جئت إليك .
الخليفة : فمرحبا بالشفيع .. أعقوبة فأرفعها أم جائزة فأنيها ؟
أبو القاسم : بل حق فتوطده .
الخليفة : بقيت للحق وأنار الله لنا سبيله .
أبو القاسم : ابن إسماعيل .
الخليفة : مكان أبيه يريد ؟
أبو القاسم : هو ما حزرت .
الخليفة : هو لك يا ابن إسماعيل .. فإنك والله قد شفعت من لا تخيب ا
شفاعة .
ابن إسماعيل : أطل الله بقاء الأمير .
الخليفة : فما ديدنك فى القضاء ؟
ابن إسماعيل : ديدنى .. ديدنى كتاب عمر بن الخطاب إلى أبى موسى الأشعري

- يقول آس بين الناس فى وجهك وعدلك ومجلسك .
الخليفة : ألا بينت لنا ما يقصده رضى الله عنه فى قوله آس بين الناس فى
وجهك ومجلسك ؟
ابن إسماعيل : يريد من قاضيه ألا يتسم لأحد ويعيس لآخر وألا يقرب شخصا
ليبعد غيره ... آس بين الناس فى وجهك وعدلك ومجلسك .
الخليفة : وهل أنت مستطيع ما تأخذ به نفسك ؟
ابن إسماعيل : فأنا باذل غاية الجهد .
خليفة : جوابك يدل على الصدق .. فى وجهك يا ابن إسماعيل وفى
مجلسك آس بين الناس فى وجهك وعدلك ومجلسك حتى
لا يطمع شريف فى حيفك ولا يئأس ضعيف من عدلك والحق
الحق .
ابن إسماعيل : نعم أعرفه فهو قديم .
الخليفة : قديم قدم الزمن .
ابن إسماعيل : إنى عليه حفيظ .
الخليفة : وأنت بحفظه خليك .. أعلنوا ابن إسماعيل قاضيا للقضاة .
(موسيقى)
سامية : وفق الله كل ما تسعى له .
أبو القاسم : إن دعوة أنالها من شفيتك هى التوفيق .
سامية : أراك عدت للشعر .
أبو القاسم : وما تريدن من زوج يخلو إلى زوجه التى يحب .
سامية : أريد أن يكلمها فى حقيقة ما يشغله .. إن الأعداء يتحرشون بك
من كل جانب ويتنمرون بملكك من كل سبيل ، وأنت تكتنم لما

تشتى عليه ، وتضمّر غير ما تبدى فتثيرها فى نفسى نارين :
إحداهما خوف عليك وخشية على ملكك وأخرى غيظ منك
وحق عليك ألا تشركنى فيما تفعل كأنى أصغر عن فهمك واتفه
عما يشغلك أو ...

أبو القاسم : حسبك وأحمدى النارين كليهما ، فلست والله بمحتمل عليك من
واحدة منهما بصيصا مهما يخفت .. (ساخرا من نفسه) أخشى
عليك هموما فأثيرها فى لى من غبى .. الحرب تومئ إلى بعين
وأتقيها بعيون .. ولكنى أخاف الصديق أكثر من العدو .. إن بيننا
قوما يتآمرون .

سامية : فقرب إليك أجدركم بالثقة .

أبو القاسم : وبمن أتق ؟

سامية : بمن يبدى لك جفاء فى المظهر ووضوحا فى الرأى .

أبو القاسم : فأنا على القلق المبيد ... والجمع خاضع .

سامية : فالجمع فاحذر .

أبو القاسم : وثقتى ؟

سامية : بالله وبنفسك .

أبو القاسم : وأنت .

سامية : ألم أقل لك بنفسك ... وهل نفسك إلا أنا ؟

أبو القاسم : نعم أنت هى ونعمت نفسا .

سامية : وعشت لها .

أبو القاسم : معى يا سامية ؟

سامية : إلى ما بعد الخلود .

أبو القاسم : اللهم شكرانك .

(موسيقى)

أبو على : هنيئا لك القضاء يا بن إسماعيل ... كنت مسافرا هذا العام فلم
أعجل بالتهنئة .

ابن إسماعيل : أحمد الله على نعمته وأشكرك يا أبا على .

أبو على : مكان كبير ما نلته ... لا يرأسك إلا الأمير .

ابن إسماعيل : إن المنصب إن كبير عظم الشاغل .

أبو على : ولكن مكان الدولة ليس بالوطيد والأعداء يتنمرون من خارج
البلاد وداخلها ، وأخشى أن تحتسب من رجل الأمير الحاكم
فتغضب القادمين بعده . والقضاء عدل وكرامة وأخشى أن يهزك
الحرص فيحيد بك عن العدل ويميل بك عن الكرامة ، وليس
كالحرص مذلل لأعناق الرجال .

ابن إسماعيل : فيمن هذا الكلام يا أبا على ؟ ما استمعنا أن قاضيا يميل به إلى
الحرص عن العدل أو الكرامة ، وأنا من تعلم ؟

أبو على : لا والله ما علمتك ظالما أبدا فلست أنت من أعلم عنه ظلما ، وإذا
أنا بينت لك ما أضمره ، فأنا من يشفق عليك . فهون عليك
ولا تأخذنك بنفسك العزة .

ابن إسماعيل : حسبتك تعرف عنى خلقا قويا لا يميل ، وكرامة صلبة لا تتحنى .

أبو على : يظل الخلق قويا لا يميل حتى يتولى صاحبه السلطان ، فإذا الخلق
معدوم كالعدم ، وإذا الجشع راكب النفس يطمح بها ، وتظل
الكرامة صلبة حتى يشوبها الحكم فإذا هى هشّة كالدقيق ، وإذا
الرأس منحني حتى يبلغ أعماق الأرض . فاحذر الحكم يا بنى ..

أحذره واستعن بالله يعيذك من الشيطان واعلم أنه الشيطان ما يلبس في كل ما يرتدى أجمل من الحكم .. واعلم أنه ما استخفى فأوغل في الاستخفاء إلا حين عثر على السلطان فارتداه يغرى به ، فإذا النصر متهالك عليه من كل جانب .

ابن إسماعيل : لم أرك كالיום ناصحا يوغل في النصيح ، أتعلم أبا على أن التضحية هي أثقل الطيبات على النفوس ؟

أبو علي : أعلم ذلك .

ابن إسماعيل : فما بالك إذن ؟

أبو علي : حبي لك وإشفاقي عليك يهونان ما تستقبل به نصيحتي وإنتى ...

(تسمع أصوات ويدخل قوم لا يزيدون على ثلاثة)

الأصوات : سلام عليكم .

ابن إسماعيل - وأبو علي : عليكم سلام الله .

ابن إسماعيل : ألا تعرف الصحاب - أبا علي ؟ هذا ابن إبراهيم السياسى البار والمؤرخ الباحث ، وهذا صاحبه سعيد أطول لسان عرفته البلاد لا ينظر إلا لينتقد ، أما هذا الكاتب المبدع عثمان وما أظنك إلا سمعت عنه .

أبو علي : فمرحبا بالصحاب ، ووددت والله أن أقيم معكم فلا أنصرف ، ولكنها مهمة لا بد لي من الذهاب إليها فعذرا ... سلام عليكم .

الجالسون : وعليك السلام - أبا على - عليك السلام .

أبو علي : أحذره - ابن إسماعيل - أحذره .

(يسمع صوت باب يغلق)

سعيد : لم أر هذا الرجل ولكنى سمعت عنه ، انه ثقيل الظل كثير الكلام قليل العمل .

ابن إسماعيل : (كما لو كان أعجبه الكلام ولكنه لا يريد أن يمضى فيه) حسبك حسبك سعيد . أهكذا دون أن تعرفه تسئل عليه لسانك ؟ فماذا فعل بك ؟

سعيد : ماذا كان يفعل ها هنا ؟

ابن إسماعيل : كان يهنئ .

سعيد : يهنئ ... بماذا ؟

ابن إسماعيل : بمنصب القضاء .

أصوات : القضاء .

أحدهم : أبعد عام من توليك له ؟

ابن إسماعيل : على رسلك .. قد كان الرجل مسافرا .

ابن إبراهيم : ومم يحذرك ؟

ابن إسماعيل : من المنصب .

(يضحك الجميع وتبدو أصواتهم وكأنها تردد كلمتى : من

المنصب)

سعيد : ألم أقل لك ثقيل ... ثقيل ... ورب الكعبة .. ثقيل .

هلمان : أرانا نطيل الحديث فيما لا يفيد .

سعيد : وما الذى يفيد ؟

هلمان : (فى سخريه) الذى يفيد ما نجىء من أجله كل يوم .. الذى

يفيد ما تعرفه يا سعيد .

سعيد : حسبنا كلاما ...

ابن إسماعيل : ليس بعد ، أنا لم أوافق بعد ..

سعيد : لم توافق .. أتستطيع .. ملك هذه البلاد أجمع .. أنت السيد المرموق .. مازلنا بالشعب ومازلت بالعدل حتى أحبك وأتفاني في حبك فما تريد .. ليس بعد ، فمتى إذن ؟

ابن إسماعيل : تنسون جميعا حين يأخذكم الحديث أن أبا القاسم هو الذى منحنى هذا المنصب وهو الذى أتاح للشعب أن يجنبى ، فحقه أن أقف إلى جانبه .

ابن إبراهيم : مالنا به .. إن ملكه قد هوى وبعد أيام قد يكون وقع فى الأسر . وأنت لا عمل لك إلا أن تتولى هذا الملك ، والشعب راض عنك والغزاة قبلوا أن يتركوه لك وينسحبوا من أرض الوطن .. فما تريد ؟

ابن إسماعيل : أريد ألا أدفع الدية .

سعيد : هنا يجب أن نسكت حرصا على مصلحة البلاد .. فإن أبا القاسم إن خرج سيثعلها نارا لا تخمد ، وخزانة الدولة يجب ألا تكون وقفًا على أشخاص .

عثمان : وأنت بعد لم تفعل معه إلا ما يرضى الكرامة .

ابن إسماعيل : دع الكرامة جانبا بربك يا عثمان .

ابن إبراهيم : بل يتمسك بها .

سعيد : يا بن إبراهيم ، دع النقاش فإنها دولة .

ابن إسماعيل : اسمع سعيد .. أنا لا أقوم بهذا الأمر وحدى .

سعيد : منذ متى كان هذا ؟ متى سمعت عن حكم يشترك فيه أربعة ؟

ابن إسماعيل : سمعت أو لم أسمع ، إذا قبلتم قبلت وإذا أبيتتم أبيت .

عثمان : فما تقول أنت عثمان ؟

سعيد : فهل أمامنا غير ما ترون ؟ نقبل ..

ابن إبراهيم : على شرط .

ابن إسماعيل : بغير شرط .

ابن إبراهيم : لا بد منه ابن إسماعيل .. لا بد أن تكون عميد الجماعة ؟

سعيد : ليكن .

عثمان : لا بد أن يكون .

ابن إسماعيل : عميد الجماعة وأمرى إلى الله ... اللهم اغفر .

(موسيقى)

سامية : مالك مطرقا هكذا ؟ لقد شاء الله فانفك أسرك ، ولقيت الراحة

والهدوء بعد أن ازور الدهر عنك ، وقد عهدت لك ثابتا كالجبل قويا

كالقوة فانفض عن نفسك ما تريد أن تحملها إياه ، وقف كما

كنت تقف ، فإنه والله الخير الذى لا نعرفه ... اصح يا رجل ..

أبو القاسم : ويحك سامية مالك تكثرين الكلام ، ألا أوجزت فسألت عما

يشغلنى ؟

سامية : وفيه كان الكلام إذن ؟ حسبتك تفهم الإشارة .. فما يشغلك ؟

أبو القاسم : عرفت اليوم أخبارا ما حسبت أننى سأعرفها أبدا .. أتدرين من

كان يتآمر مع أعدائى ومن الذى ألقى بى فى السجن ؟ .. إنه ابن

إسماعيل القاضى الذى جعلته أنا قاضيا .. أتدريين أنهم طلبوا إليه أن يدفع من الخزانة العامة ثمن خروجى من السجن فأبى .

سامية : لعله حديث كاذب ؟

أبو القاسم : لقد قصد إلى اليوم واحد ممن تأمروا معه وهمس إلى بهذا الحديث لأحميه ، فقد ثارت الدولة على ابن إسماعيل وخانه من تعاهدوا معه ، وهو اليوم فى حيرة من أمره لا يدري ماذا يفعل .

سامية : مالنا وله ؟

أبو القاسم : بروحى أنت يا سامية ، إنه لولاك لما خرجت إلى الدنيا . ضحيت بكل أموالك لينفرج عنى باب السجن ، بحياتى أنت .. ألا ما أهون حياتى فى سبيلك ... غبى ذلك الذى يفتدى حبيبه بحياته ، إنه كمن يفتدى حياته بحياته ، ولكن ما حيلتى إزاءك لا أملك غير هذه الأنفاس الملتهبة بالحب إن شئت أحمدها إن كان فى إخمادها نفع .. حدثينى يا سامية ماذا أفعل لأرضيك .. ماذا ؟

سامية : ماذا جرى لك أبا القاسم ؟ أتهيننى أم ترانى لست جديرة بما فعلت ، وما الذى فعلت ؟ أنفقت فى سبيلك كل ما أملك .. ألا ما أهون ما أملك فى سبيل نظرة إليك .. أتميتنى أبا القاسم .. عد إلى رشد منك ولا تعد إلى هذا الحديث .. أن تفعل ما يرضينى . بل إن شئت أن تثيرنى وتؤلنى فعندنى ألا تعود لهذا الحديث مرة أخرى .. ألا تعد ؟

أبو القاسم : وعد حر تعبدته فهو تبعك ، لا يزور عن إشارة لك ولا يجيد

أمر تأمرين .

سامية : بل وعد حر هو سيدى ، وسيظل سيدى حتى اللقاء .
(تسمع ضربات استئذان على الباب)

أبو القاسم : من بالباب ؟

صوت : عبدك مرجان .

أبو القاسم : ادخل (يسمع صوت باب يفتح) خيرا مرجان ماذا ؟

مرجان : ابن إسماعيل القاضى ببابك حافى القدمين يلتمس المثول بين يديك .

أبو القاسم : من ؟ ابن إسماعيل ؟ عميد الجماعة ؟

مرجان : هو يا مولاي عميد الجماعة .

(موسيقى)

أبو القاسم : شرفت يا ... أى الألفاظ أحب إليك ، قاضى القضاة كما أعرفك ، أم عميد الجماعة كما تريد أن تكون .

ابن إسماعيل : بل عبدك ابن إسماعيل .

أبو القاسم : (يضحك هادئا) عجا . ماذا أفقدك نعالك ؟

ابن إسماعيل : بل هى معى خلعتها قبل أن أدخل بابك ألتمس الشفاعة .

أبو القاسم : ثانية .. فيما الشفاعة اليوم ؟ لقد أصبحت أنت ممن يتشفع له ..

ابن إسماعيل : شفاعة منك لدى نفسك ... أرجو الصفح .

أبو القاسم : ماذا تفعل به ؟ إنه اليوم لا يغنى عنك شيئا .

إسماعيل : أريح به ضميرى ويهدأ نائرى وأحتمى منك بخيانة الخائن وغدر

القريب .

(ابن إسماعيل يبكى)

أبو القاسم : ويحك ابن إسماعيل ، ماذا بك ؟

ابن إسماعيل : بى ضمير لا يريحنى على جنب . وبى جرح فى أغوار القلب من قوم مهدوا لى الشر ، فإذا خطوت به تخلوا عنى وانقضوا علىّ وألقونى بين أنياب العدو بلا صديق .. إنه الجرم الذى اقترفته فى حقل يلاحقنى فاعف .

أبو القاسم : وجئت وحدك لا تخشى انتقامى ؟

ابن إسماعيل : أنت تتنقم من ملتجئ إليك ! .. لا يا مولاي أنا لا أخشى انتقامك ، فإنك أكرم من تلك الخشية . ولكننى أخشى أن تأبى على الصفح فهل تأباه ؟

أبو القاسم : بل هو لك وأنت لك الشكر .. إن التجاءك إلىّ هو أعظم مديح أناله .. لقد عرفت فى نفسى ما لم أعرف .. إن اطمئنانك إلىّ خلقتى وهدوءك إلىّ كرمى هو أعظم جزاء أناله منك .. صفحت عنك يا بن إسماعيل ، فببى بيتك .

ابن إسماعيل : أنا ما أزال عميد الجماعة .. لكن لى رجاء إليك .

أبو القاسم : مر به .

ابن إسماعيل : بل رجاء .

(يسمع صوت جسم يلقى على الأرض)

أبو القاسم : أتقبل قدمى .. ابن إسماعيل ؟ استغفر الله ، إنه لا يُسجد لغير الله .

ابن إسماعيل : فاقبل رجائى .

أبو القاسم : لست فى حاجة إلى ما فعلت مر بما تريد .

ابن إسماعيل : اتخذ منى عبدا لك كمرجان هذا .. لا أرجو من دنيائى غير

ما طلبت منك .. أجهه بحق زوجك .. بحق ربك .. بحق كرامة لى أبذلها لى قدميك وملك خلفى أتركه لأكون عبدك .. عبدك لا أريد غيرها .. هذه أوراق عبوديتى .. فاقبل طرح نفسى .. عبدك يا مولاي عبدك .

أبو القاسم : قم أيها الرجل ، بل صديقى مدى الحياة . قم أيها الرجل واحفظ

عليك كرامتك .. قم أيها الرجل إن هذا البيت بيتك فأقم به .. قم أيها الرجل .

ابن إسماعيل : أقام الله أمرك وشد أزرك وهباً لك من لدنه البركات ، اللهم فاقبل .

الجميع : اللهم فاقبل ..

موسيقى

* * * * *

نصر أو جنة .

: ليخيل إلى أبا زياد أن الروح منى تتمرد على جسمى هذا الضاوى
الهزبل تريد أن تفك عقاها ، وتبعث إلى جيوش النصر تستبق
واحدة من اثنتين كلتاها أحب إلى من الشباب الذى ولى ، ومن
كل أمل حقيقته لى أيام مواض أو ستحققه لى أيام قوادم .

: لك الله ! . أحس والله أن قلبى ينطق على لسانك ... لكن أظن

الجيوش اليوم فى طريقها إلى العدو ؟

: بل ما أظنها عائدة وشيكا يا أبا زياد .

: ولم ؟

: سمعت أبا بكر بالأمس يبحث فى أمر جليل .

: وما هو ؟

: لقد دعا بالأمس أهل المشورة وأصحاب الرأى .

: وفيم دعاهم ؟

: لقد ترامت إليه الأنباء بأن المثنى بن حارثة الشيبانى قد استولى

على القطيف وهجر وسار بجيش له حتى بلغ مصب دجلة

والفرات هازما الفرس كلما التقى بهم ، وقد سأل أبو بكر عن

المثنى فهو لم يكن يعرفه . فأجابه قيس بن عاصم المنقرى .

: هذا رجل غير حامل الذكر ولا مجهول النسب ولا ذليل العماد ..

هذا المثنى بن حارثة الشيبانى ، وهو من آل شيبان بن بنى بكر ابن

وائل ، وقد انضم إلى جيوش المسلمين فى حرب المرتدين وترغم

من بقى على الإسلام فى بلاده .

: فعرف أبو بكر أنه يستطيع الاعتماد عليه .

الفصل الرابع

« حلقات النصر »

: (موسيقى)

: الحمد لله هزم المرتدين .

: سبحانه الحمد له أولا وأخيرا ...

: لقد نصرنا على القوم الظالمين ، وهياً لنا ذلك السيف الصقيل .

: سيف الإسلام ، قاهر الشرك ، وعدو الكفار .

: إنه خالد يا أحمى ، ما سار على جيش إلا كان النصر بعض
جنده .

: عقل وحسام ، يدبر فهو الملهم لا تند عن فكره بادرة ، ثم
يخوضها فهو الإعصار المحيط بأعداء الله .

: لقد تاب المرتدون جميعهم إلى الرشد ، ومن أصر منهم على كفره
قتل .

: تلك حدود الله ، ولا زالت حدود الله قائمة على الزمان .

: والآن ، أما آن لنا أن نستقبل جيوشنا وننعم بأولادنا ؟

: يا أبا زياد وما ضر لو ابتعد عنا البنون ، يرفعون لدين الله العمدة
ويشدون للإسلام الأطناب .

: إنه والله عز الدنيا والآخرة ، والله ما ضقت بالشيخوخة
يا أبا حنظلة إلا حينما رأيت جيوش الله ترحف ولا تقوم بى
الساق لأواكبها ، ولا ينهض الجسم لألتمس إحدى الحسينيين من

الثانى

الأول

الثانى

الأول

الثانى

الأول

الثانى

الأول

الثانى

صوت

الثانى

صوت

آخر

الأول

الثانى

الأول

الثانى

الأول

الثانى

الأول

الثانى

الأول

- الأول : الاعتماد عليه فيم ؟ مالك لا تبين الأمر ولا تجلوه ؟ تقول إن أبا بكر دعا ذوى الرأى والمشورة ثم تقول إنه سمع عن المثنى ! أتراها الشيخوخة أبا حنظلة ألمت بك ، فأنت تهرف بما لا تعلمه !؟
- الثانى : (ضاحكا) نحن شيوخ الجزيرة يزيدنا السن عقلا أبا حنظلة .. ولكنه الأمر الجسيم .
- الأول : ما هو ؟
- الثانى : إن أبا بكر يفكر فى (صمت)
- الأول : بربك يا أحمى قل ... فيم يفكر أبو بكر ؟
- الثانى : فى فتح العراق .
- الأول : (جازعا) فيم ؟! .. أتعنى ما تقول !؟ فى فتح العراق !؟ .. فى حرب كسرى !؟
- الثانى : فى حرب كسرى وفتح العراق .
- الأول : ولكن بربك ما الذى يدعو إلى هذا التفكير ؟
- الثانى : أمور كثيرة ... فهو يعلم أن هؤلاء المرتدين الذين هزمناهم لن يستنيموا على الهزيمة فلا بد أن يشغلهم بالفتح عن الثأر ، ثم إن كثيرا من إخوتنا العرب يقيمون فى الشام والعراق ولا بد لهم أن تبلغهم الدعوة إلى الدين القيم ، ولعل هذه الفروع من العرب تذكر أصولها الضاربة فى جزيرتنا فيميل العرق إلى العرق وتتجه الدماء إلى الدماء ، يجتذبهم دين جديد ناصع ، ومذهب رفيع متحد ، هو أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله .
- الأول : الله فى عون الخليفة يا أبا حنظلة ... الله فى عون الخليفة .

(موسيقى)

- الرواية : وإن الله فى عون الخليفة ... وقد أرسل أبو بكر يدعو إليه المثنى ابن حارثة الشيبانى ، كما أرسل يدعو إليه خالد بن الوليد . وما أسرع ما جاء الرجلان فقال المثنى :
- المثنى : يا خليفة رسول الله أمرنى على من قبلى من قومى ، أقاتل من يلينى من أهل فارس وأكفيك ناحيتى .
- الرواية : فأمره أبو بكر على قومه ورجع إليهم ، وحين سأل أبو بكر خالدا رأيه . قال :
- خالد : سيف الله فى يدك يا خليفة رسول الله ، أطلقنى حيث شئت أعد بالنصر المؤزر إن شاء الله .
- الرواية : وأمر أبو بكر خالدا على القيادة العامة لجيوش الفتح .
- (موسيقى عنيفة وطبول حرب تلازم كلام الرواية) وخرج خالد على عشرة آلاف من الجند ، وسار بهم حتى التقى بالمثنى ورهطه .
- (تقطع أصوات الطبول)
- خالد : إن طريقنا إلى الحفير .
- المثنى : فكيف تريدنا أن نسير إليه ؟
- خالد : فى فرق ثلاث ، وعليك يا مثنى أن تسير فى باكر الصباح مع جيشك ، وبعد غد سيلحق بك عدى بن حاتم الطائى ، ثم أتبعكم أنا ..
- (موسيقى تعبير عن السير ويحسن أن تتخللها أصوات خيل وضجيج)

- الراويّة : وسارت الجيوش وأرسل خالد من قبله رسولا إلى هرمز أمير
الفرس في هذه المنطقة ، وكان رسول خالد يحمل رسالة خطها
خالد بسيفه ، فهي الرعب المفرق ، وبلغ الرسول هرمز .
- صوت : أسلم تسلم ، واعقد لنفسك وقومك الذمة ، وأقرر بالجزية ،
وإلا فلا تلومن إلا نفسك ، فقد جئتكم بقوم يجبون الموت كما
تجبون أتم الحياة .
- الراويّة : ونزل خالد عند الحفير ونزل برجاله عند الماء وقال لهم :
خالد : ألا انزلوا وحطوا أُنُقْالكم ، ثم حاربوهم عن الماء ، فلعمري
ليصيرن الماء لأصبر الفريقين وأكرم الجندين .
- الراويّة : وجمع هرمز جيوشا ، ولكنه كان خالدا لا يهزم فهو يجمع
رعوس قومه يشاورهم .
- هرمز : إنه خالد .
صوت : نعلم ذلك ... إنه خالد .
هرمز : وماذا ترون ؟
صوت : إننا في الكثيف من الجند ، فلو كانوا ألف خالد ما استطاعوا اليوم
لكثرتنا دفاعا .
- هرمز : بل إنه خالد واحد يا أخي ، ولا سبيل لنا إليه .
صوت : ونحن في هذا العدد الضخم ، ونحن على هذه الخيول المطهمة ،
ونحن بهذا الزاد الوافر وهذا الجيش العنيف ؟!
- هرمز : ونحن كذلك ... لا سبيل لنا إلى النصر ما دام خالد على رأس
هذه الجيوش .
- الصوت : نعود إذن أدراجنا نقول للملك أردشير إنه خالد وإننا لم نطق له

- دفعاً .
- هرمز : بل اصبر يا أخي إنما نحن نتفاوض الأمر فترى فيه .
الصوت : إن جيوش العرب أمامنا تذودنا عن المياه ، ولا ماء عندنا فنصير ،
ثم أنت أيها الأمير تقول نتفاوض الأمر ونرى فيه .
- هرمز : إنها الحرب يا أخي ... روية وتفكير .
الصوت : إنها الحرب أيها الأمير ضراب وطعان .
- هرمز : (ساخرا) غرتك نفسك أيها المسكين ... إنها الحرب والطعان
إن كان الجيشان متكافئين ... أما وخالد على رأس جيش فلعدوه
الموت والهلاك .
- الصوت : أنقعد إذن نندب حظنا ، أم نعود أدراجنا ، أم لديك أيها الأمير
حيلة تخرج لنا بها الماء من هذه الصحراء فنشرب ؟
- هرمز : (في فرح) الحيلة ... لا يغلب خالد إلا بالحيلة ... لا سبيل لنا
إليه في الحرب ولكننا قاتلوه بالحيلة ... اسمعوا إنني أعرف في
خالد حمية عربية تثور إذا أثرت ، فإنني أدعوه إلى منازلتي حتى إذا
خرج إلى ...
- (موسيقى)
- هرمز : (صائحا) أين خالد ؟
خالد : (ساخرا في صوت خفيض) ساذجة حيلتك يا عبد الكفر ..
اسمعوا أيها الإخوان إنني سأخرج فتربصوا بالقوم فإنهم حين
يرونني منفردا وإياه سيخرجون إلى ييغون قتلى وأنا بمعزل عنكم ،
فانفروا أتم إليهم قبل أن يبلغوا مكاني .
- صوت : أيريدون قتلك غيلة ؟ والله لنصليهم نارا حامية ؟

- خالد : انتبهوا .
 هرمز : (صائحا) فخالد إذن حديث خرافة لا جد فيه ، أين مدوخ الأبطال ، أين صاحب الأساطير ... أين ... !؟
 خالد : (مقاطعا) ... إليك يا فتى الكفر .
 (موسيقى فيها خطورة)
 صوت : الله أكبر ... إلى الكفرة أيها المسلمون .
 الراوية : وصدق حدس خالد ، فقد كان هرمز أوصى قومه إذا رأوا خالدا يقارعه أن يخرجوا إليهما ويحيطوا بخالده فيقتلوه ، ولكن جيش خالد أحبط حيلتهم وسارع إلى جيوش الكفار فقد استل الروح الكافرة من جسم هرمز ، وصاح جنود الفرس .
 صوت : لقد قتل هرمز .
 أصوات : الفرار ... الفرار ... (أصوات سلاسل شديدة)
 أصوات : وكيف الفرار وهذه السلاسل تحيط بنا ؟
 صوت : سلاسل ؟
 آخر : يا لجن الكفار لقد قيدوا أنفسهم بالسلاسل حتى لا يفروا من الحرب !
 أصوات : حطموا السلاسل والفرار ... الفرار
 (أصوات تحطم السلاسل)
 أصوات : الفرار ... الفرار ...
 الراوية : وكان الفرار ، وانهزمت جيوش الكفر وتبدد جمعهم هزما ، وخالد يصيح بجنوده :
 خالد : أدركوهم ... أريدكم أسرى .. أو أريدكم قتلى . إن المواقع أمامنا

- كثيرة . من ينجو منهم اليوم عائد علينا في الغد ... أدركهم أنت يا مثنى ... تابعهم فلا تتركهم .
 الراوية : وكانت ذات السلاسل هي الغزوة الأولى في فتح العراق ، وقد أفاء الله على المسلمين منها الفياء الوفير ، وأرسل خالد خمس الغنائم إلى أبي بكر وكان من بينها فيل تعجب له سكان المدينة حتى قال بعضهم :
 صوت : أيستطيع الفرس أن يصنعوا أفيالا كثيرة كهذا ؟
 الراوية : ولكن الحرب لم تكن قد انتهت بعد ، فإن أنباء الهزيمة كانت قد بلغت الملك أردشير ، فإذا هو يدعو إليه قارن بن قريقس .
 أردشير : يا قارن إنها الهزيمة المنكرة .
 لارن : وإني لجالب لك النصر يا مولاي .
 أردشير : فالجيوش الجيوش ... والسلاح السلاح .
 لارن : فداؤك يا مولاي .
 أردشير : أريد جيشا لم يسمع العالم به .. أظن هؤلاء العرب أن شيئا لا يردهم؟! .. هلم يا قارن .
 لارن : لبيك يا مولاي .
 الراوية : وتجمعت جيوش الفرس وسارت لتلتقى جيوش المسلمين ... وفي الطريق التقى جيش الفرس بالبقايا المتناثرة من جيوش هرمز وحين يسألهم قارن :
 لارن : ماذا حل بكم ؟
 صوت : لا ندرى .
 لارن : لا تدرون؟!!

صوت : هي الهزيمة لا ندرى من أى مكان كانت تحيط بنا ... أهم جنة هولاء العرب ؟ .. احتلنا لنقتل قائدهم ففطنوا إلى حيلتنا ، قيدنا أنفسنا بالسلاسل حتى لا نفر فإذا الرعب فينا أقوى من سلاسل الحديد ... حططنا الحديد من الرعب ولم نستطع للعرب ولا لخالد دفعا ... تقف أرجلنا إن واجهنا جيوشهم ، وأرجلنا كهيوب الرياح الطائرة إذا ولينا الفرار ... الموت يا مولاي ... الموت فى سيفوفهم وأيديهم وخيولهم وعيونهم ... بل الموت فى الهواء الخارج من أفواههم ... الموت يا مولاي الموت فى سيفوفهم وأيديهم وخيولهم وعيونهم ... بل الموت والهواء يا مولاي .

قارن : بعض ما بكم أيها الإخوان ، بعض ما بكم ... انظروا إلى جيوشنا هذه .. وحينئذ سترون الموت الذى يشيع بينكم سينقلب إليهم .

الصوت : (فى يأس) هيهات .

قارن : بل سننتصر .

الصوت : (فى ضعف) نرجو .

الراويّة : دخل الجيش وكأنما أراد أن يقف فى مطارده هذه ... دون المدائن عاصمة الفرس ، ولكن الأنباء جاءت إليه .

صوت : حنانيك يا مثنى .

المثنى : ماذا ؟

الصوت : الآلاف تقفو الآلاف ... على رأسه بطل الفرس وقائدهم قارن ابن قريقس وقد التفت بفلول الجيش التى تطاردها وانضمت الفلول إلى الجيش فهم العدد العديد .

المثنى : وأين ينزلون ؟

الصوت : بقرية المزار .

المثنى : فمن لى بخالد ؟

الصوت : من لنا به ودوننا القفار والبيد ...

المثنى : فهى الشهادة إذن وبغير فتح .

الصوت : لا إله إلا الله .

المثنى : (فى يأس) لا إله إلا الله .

(موسيقى حزينة تنتهى بأصوات خيول وسيوف وجلبة)

أصوات : البشرى البشرى يا مثنى .

المثنى : هو خالد .

الصوت : الله أكبر ... إنه النصر ... إنه النصر ..

الراويّة : وهل خالد إلا النصر ؟ والتقى الجمعان ... أما الفرس فكثير بعددهم قليل بخوفهم ، وأما العرب فقليل برجاهم وخيولهم ، كثير بإيمانهم وعزيمتهم وخالد هم ، ومتى صمد الخوف للهزيمة ومتى ثبت الكفر للإيمان ، ومتى لبث العدو لخالد ، لقد رأى الفرس قوادهم من قارن إلى غير قارن يقتلون على أعينهم كما تقتل النعاج ، والبطل البطل منهم من وجد طريقا إلى الفرار فاتخذ سبيله إلى الفرار عدوا ... وإن كانت السلاسل قد أعاقتهم هنية فى الغزوة الأولى فهم اليوم خفاف إلى النجاة سراع إلى التهرب .. فإنه خالد وإنهم المسلمون .

خالد : الحمد لله ...

المثنى : ما أظنهم يجتمعون بعدها أبدا يا خالد ؟

خالد : تحسن الظن يا مثنى بل سيجتمعون ، أتحسب أن أكاسرة الفرس

يتنازلون عن كبرهم بهذا اليسر؟! ... بل إنها الحرب يا أخى
فانتظرها فى كل يوم .

المتنى

: وأين تراهم سيجمعون ؟

خالد

: إن كسرى أردشير لن يسكت أبدا ...

الراويّة

: وصدق حدس خالد ، فما كان ليسكت أردشير أبدا ، فقد بلغه
ما كان من هزيمة جيوشه فهو يدعو القوم فيشاورهم .

أردشير

: ما ترون ؟

الصوت

: التى ترى .

أردشير

: أرى أن هؤلاء العرب قد طغى أمرهم ...

الصوت

: (كمن وجد حلا) مولاي .

أردشير

: ماذا ؟

الصوت

: لا شىء .

أردشير

: كأنك وجدت طريقا ، ثم حدث عنه .

الصوت

: نعم فقد فكرت يا مولاي لو أننا استعنا ...

أردشير

: (مقاطعا) بالعرب على العرب .. نعم فإن القبائل العربية الموالية لى

الصوت

إذا حاربت هؤلاء هزمتهم ، فهى أدرى منا بقتالهم وبطرق قتالهم .

الصوت

: ولكن إذا انتصروا يا مولاي فإن النصر سيكون ملازما للعرب

ما يزال ، فيهن أمرنا ويتسامع الناس عنا إن لم نستطع أن نحارب

العرب وحدنا ، فاستعنا عليهم بإخوانهم .

أردشير

: أنت محق ولكن .. هناك حل .. نعم ... نجعل على العرب الموالين

لنا أقدر قوادنا ، فيكون النصر بيد العرب ويرجع الفضل فيه إلينا .

الصوت

: أصبت يا مولاي ... أحسنت يا مولاي ... وفقت يا مولاي ..

(موسيقى)

الراويّة : شهد الله ما أصاب مولاي ولا أحسن ولا وفق مولاي ، فقد

اجتمع العرب الموالون للفرس وعلى رأسهم "بهمن" جاءوا به

وهو من أقدر قواد الفرس وأخذوا طريقهم إلى الوجة ، وبلغت

هذه الأنباء خالدا .

خالد

: فإننى سائر إلى الوجة .

صوت

: وتترك بعضنا هنا ؟

خالد

: ساترك بعض الجيش على هذه البلاد ، ولكن حذار أن تخدعكم

الهزيمة عن أعدائكم ... فكونوا على الحذر الدائم .

الراويّة

: وأخذ خالد سبيله إلى الوجة ، فيلقى بها "بهمن" ومن يلوذ به

وقبل أن يصل .

خالد

: كتيبتك أنت يا زياد ، وكتيبتك أنت يا حنظلة .

صوت

: ماذا بكتيبتنا ؟

خالد

: ليق كل منكم هنا بكتيبتك ثم سيروا على مبعدة منا ، حتى إذا

تلاحم جيشنا وجيش الكفار انبعثوا أنتم : أنت يا زياد عن يمين

وأنت يا حنظلة عن يسار .

(موسيقى)

الراويّة

: وسمع الرجلان لأمر خالد ، وتابع خالد مسيره حتى تلاحم

الجيشان ... ولكن المسلمين قد أصبحوا فى قلة قليلة ، والكفار

ما يزالون فى العديد من جيوشهم ... لقد ترك خالد بعض

جيوشه فى المدار ، وترك كتيبتين من خلفه والمعركة سجال

يتزجح فيه النصر بين المسلمين والكفار ، ولأول مرة رأت

الفصل الخامس

" شاعر وملك "

- صوت : أشهد كان كتابك الأخير من أحسن ما ظهر في ميدان الأدب .
- آخر : هذا أول كتاب لك .. أليس كذلك ؟
- آخر : إنه لكذلك .
- آخر : (في وقار) ما أجدرك بقول البحترى :
- هَذِي مَخَائِلُ بَرَقِ خَلْفَهُ مَطَرٌ جَوْدٌ وَوَرَى زِنَادٍ خَلْفَهُ لَهَبٌ
وَأَزْرَقُ الْفَجْرِ يَأْتِي قَبْلَ أبيضِهِ وَأَوَّلُ الْغَيْثِ طَلٌّ ، ثُمَّ يَنْسَكِبُ
: هذا والله هو الشعر ...
- آخر : إنك يا صديقي لن تقرأ البحترى حتى تجد السبك الرصين والعريية
الجزلة والألفاظ المستقرة ، وكأنما هي خلقت ليقولها البحترى في
هذه المواضع .
- آخر : (صاحب الكتاب) البحترى صانع الشعر وجوهره .. يختار من
أوزان الشعر أنسبها لموضوع قصيدته ، ثم يختار من القافية أجملها
وبين القافية والوزن ينزل الألفاظ منازلها ويجريها مجراها بغير جهد
تلمسه ، وإنما يخيل إليك أنه يرسل الشعر كما ترسل نحن جارى
الحديث .
- آخر : سمعت عن البحترى وما درست من أمره شيئاً . فمن هو أو أين
ولد ؟ وماذا دعاه إلى قول الشعر ؟ وكيف قاله ؟ وعلى من
أخذه ؟ وفيمن قال ؟
- آخر : على رسلك يا أخى فإنه البحترى ، وما هو بمن يجمل الحديث عنه

جيوش الفرس أن النصر لا يلازم خالدا طوال المعركة ، بل هو
يميل حيناً إليهم ثم يعود طريقه إلى خالد ، وبعث هذا التردد من
النصر الأمل فى نفوسهم . وتأخرت الكتيبتان واستيأس
المسلمون فى المدافعة وكادت الهزيمة ... كادت ...

- أصوات : (غاية فى القوة) الله أكبر ... الله أكبر .
- المذيع : هيهات ... هيهات ... لكلمة الهزيمة أن تصل لجيش يقوده
خالد ... إنه النصر ... إنه النصر المؤزر .. وهل كانت أيام
خالد إلا حلقات من النصر متلاحقات لا يحتل لها نظام ! لقد
شاء ربك ، وإنما مشيئته أن يقول كن فيكون . وكانت مشيئته
سبحانه أن يكون خالد سيف الإسلام وبطل الحروب وجبار
المعارك فكان ، وكانت مشيئته سبحانه أن يظهر دينه على الدين
كله فظهر وتعلو كلمته فى الآفاق فعلت ، ويشرق نوره فى
الأمصار فأشرق وصدق سبحانه وتعالى هو القائل :
- ﴿ الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوباً
عندهم فى التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر
ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم
والأغلال التى كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه
واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون ﴾ .
- * * *

إجمالاً .

- آخر : فصله إذن بربك تفصيلاً .
آخر : هو أبو عبيدة البحرى ، ولد ببلدة مَبِيج ، ثم خرج إلى العراق .
(موسيقى عنيفة)
البحرى : ويلي من الشعر يا مبرد .
ابن شراعة : بل ويل للشعراء من شعرك يا بحرئى .
البحرى : أخاف الشعراء يا بن شراعة .
ابن شراعة : أتخافهم أنت ؟ فماذا يقولون هم ؟
البحرى : لا وربك ما خوفى من شعر لهم أحشى أن يغض من شعرى
أو ينال منه .. وإنما أخاف الحقد فى نفوسهم ونحن أبناء صنعة
واحدة .. تتزاحم على المال .
ابن شراعة : على المال وحده ؟ ألا تختار لمديحك يا بحرئى ؟
البحرى : أختار الغنى واسع الغنى ، فأنا إنما أمدح ماله ولا شأن لى به .
ابن شراعة : أتجعل من الغنى ذكراً خالداً من أجل المال ؟
البحرى : يا صاحبي أرايت هذا الدرهم لو أننى وضعت عليه الطين أغير هذا
من شأنه أمراً ؟ هو الدرهم فى أى مكان .
ابن شراعة : ولكن الشعر .. أليس للشعر كرامته ؟
البحرى : يا صديقى الطيب ، متمناى واللّه أن أقيم للشعر كرامته ولا أقول
حين أقول إلا عن صدق إحساس ، ولكن ذلك أمر عسير المنال .
ابن شراعة : عسير المنال ؟
البحرى : إى وربك ، فإنه لا بد لى أن آكل لأعيش لأصبح ذا كرامة ...
فإنه لم يقل الشعر شاعر بغير تكسب إلا كان القائل أميراً موفور

الغنى واسع البجوحة .

- ابن شراعة : أعانك الله .
البحرى : لكم أحتاج إلى هذا العون من الله يا صديقى الأوفى .. أنا أحتاج
إلى عونته لأتغلب على ضميرى ، ثم لأتغلب على بخل فى ذوى
الغنى ، ثم لأوسع لنفسى مكاناً بين الشعراء .
ابن شراعة : إن شعرك يوسع لك المكان يا بحرئى .
البحرى : بل لا بد لاسمى أن يوسع لى .
ابن شراعة : تقول اسمك ؟
البحرى : نعم ... ألا ترى إلى هؤلاء الشعراء وقد وقفوا بأبواب الأمراء تسد
أسماءهم الكبيرة أقطار الأرض ، فما أنا بواحد بينهم فُرجةً .. وأين
أضع نفسى وقد تزاحمت الأسماء وتكالبت على الرزق حتى لقد
ضاقت بهم أبواب الأمراء ؟
ابن شراعة : فماذا أنت صانع ؟
البحرى : سمعت عن أبى تمام ؟
ابن شراعة : ومن ذلك الذى لم يسمع بالطائى ؟
البحرى : فإننى قاصد إليه .
ابن شراعة : ألا تخشى حقه ؟
البحرى : حقد من ؟ أبو تمام ؟... يا ليته يحقد علىّ أما واللّه لتكونن مشار
عجيبى ومبعث مفاخرى . وأين أنا من الطائى وقد ملك أسباب
الإبداع وأعجز الشعراء حتى لم يبق إلا من يعترف له بالسبق .
ابن شراعة : إنك لن تخسر شيئاً .
البحرى : فأنا ذاهب إليه ثم أعود فأروى لك ما كان .

ابن شراعة : فإنني هنا لن أبرح مكاني .

(موسيقى)

البحرئى : ولقد وجدت عنده خلقا كثيرا وكل منهم يقول له الشعر وهو يصغى صامتا ، حتى إذا انتهى منشده أرشده إن كان فى شعره صبابة من أمل ، حتى التفت إلى فقلت :

رأى البرق مجتازا، فبات بلا لبّ وأصابه من ذكر البخيلة ما يُصبي
وقد عاَجَ فى أطلالها غير ممسكٍ لدمع، ولا مصغ إلى عذَلِ الركب
وكنتُ جديراً حين أعرِفُ منزلاً لآلِ سُلَيْمى ، أن يُعَنَفَنى صَحْبى
عَدْتنا عوادى البعد عنها، وزادنا بها كَلْفاً أنَّ الوَداعَ على عَنب
ولم أكتسب جُرماً ، فتجزئني به ولم أجزم ذنباً فتعتب من ذنب
وبى ظمأً ، لا يملك الماء دفعه إلى نهلةٍ من ريقها الخصر العذب

أبو تمام : ذاك هو الشعر فمن أنت ؟

البحرئى : أنا أبو عبيدة البحرئى الطائى .

أبو تمام : لأنت واللّه خليفتى .. لقد نعتنى إلى نفسى يا أبا عبيدة . فما أحب أن أعيش بعد أن نبت فى قبيلتى من هذا شعره .

البحرئى : أبقاك الله أبا تمام ... إنما أنت موئلنا وإمامنا .

أبو تمام : وكيف حالك يا بن الأخ ؟

البحرئى : فى شر حال أبا تمام . الشعراء يزحمون الطريق فما أجد لنفسى سبيلا .

أبو تمام : لقد وقعت على سبيلك يا فتى .. خذ هذا كتابى إلى قوم يكرمون وفادة الشعر .

البحرئى : بقيت مقصد آمال .. أبا تمام .

(موسيقى)

البحرئى : وكان خطاب أبى تمام إلى قوم معرة النعمان ، فذهبت إليهم ومدحتهم .

المرء : وكم أعطوك ؟

البحرئى : أربعة آلاف درهم .. هو أول ما كسبت من الشعر .

المرء : ولم يزيدوا ؟

البحرئى : بل زادوا وما علموا أنهم زادوا .

المرء : كيف ؟

البحرئى : ذاع اسمى من عندهم وتيسر لى الطريق بعد أن كان وعر المسالك عسير الدروب .

المرء : فإن سألتك اليوم أن تقارن شعرك بشعر أبى تمام .

البحرئى : لك الله يا مرء .. أو تظن السنوات تمحو الحقائق ؟ رحم الله أبا تمام .. فإنه واللّه الأستاذ الرئيس وما نلت الخير إلا به .

د : تأبى إلا شرفا من جميع جوانبك أبا عبيد .

البحرئى : هو الحق يا أخى .. وما اصطنعته .

د : وأين ستقام بك الطريق ؟

ى : إلى المتوكل .

المرء : إن لك فيه القصائد الخالدات .

ى : إنى لا أخفيك الحق يا مرء ... لقد قلت الشعر تكسبا فما كان

يعيننى أن يكون الممدوح مستحقا لما أقوله فيه من الشعر أو غير

مستحق غير أنى كنت أجد فى ذلك .. غصة ... ما أحسب إلا

أنك تعرفها .. تخيل نفسك يا صاحبي تسكب الجواهر الفريدة

على حمار لا يجد فيها إلا الحصى .

المبرد

: (يضحك) جزاك الله يا بحترى .

البحترى

: حتى مدحت المتوكل .. وجدته يستجيب للمديح .. صادق النظرة

فى الشعر .. طيب الرؤية فيه ، بارع النقد ، فاسترحت إليه ...

وأصبحت أقول الشعر فيه وأنا مرتاح الضمير هادئ النفس طيب

الخواطر .

المبرد

: ما أحسن شعرك فيه ؟

البحترى

: أقول حين قمع المتوكل الفتنة التي كادت تضطرم بين ربيعة :

نَزورُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَدُونَهُ سُهوبُ البلادِ، رَجُها ووسيعُها

إِذا ما هَبَطْنَا بِلدَةٍ كَرَّ أَهلُها أَحاديثُ إِحسانِ نَدَّاهُ يذيعُها

حَمَى حوزَةَ الإسلامِ، فارتدَعَ العِدَى وَقَدْ عَلِمُوا أَنَّ لَنْ يُرامَ مَنيعُها

ولما رَعَى سِرْبَ الرعيَةِ ذادَها عن الجَدْبِ مُخَضَّرُ التِلاعِ، مَرِيعُها

عَلِمْتُ يَقينًا مُذْ توَكَّلَ جَعفَرُ على اللّهِ فيها، أَنَّهُ لا يُضيعُها

أَسيتُ لأَعوالِي ربيعةَ، إِذ عَفَّتْ مَصابِفُها مَناها وأقوتُ رِبوعُها

بِكرهِىَ إِذْ باتتُ خِلاءَ ديارِها ووحشًا مَغانِيا، وشتى جَميعُها

وَفُرسانِ هِجاءِ تَجيئِشُ صَدرِها بِأحقادِها حتى تضيقُ دُرُوعُها

تُقَتِّلُ مِن وِترٍ أَعزَّ نَفسِها عليها، بِأيدٍ ما تَكَادُ تُطيعُها

: (مكملا بإعجاب)

المبرد

إِذا احترَبْتُ يَوماً ففاضتُ دِماؤُها تَذكرتُ القُرْبى ففاضتُ دَموعُها

شَواجرُ أَرماحِ تُقَطِّعُ بَينَهُم شَواجرُ أَرحامِ مُلُومِ قَطُوعُها

فلولا أَميرُ المُؤمِنينَ وطولُها لَعادتُ جِيوبَ وِالدِماءِ رُدُوعُها

تَألَّفَهُم، مِن بَعدِ ما شَرَدتُ بِهِم حَفايظُ أَخلاقِ، بِطِىءِ رُجُوعُها

فأَبصَرَ غاويَها المَحجَّةَ، فأهتدى وَأَقصَرَ غاليَها، ودانَى شَسُوعُها

البحترى : إني واللّهُ لا أَعلمُ أَننى أَحسنتُ .. فباللّهِ أَلَا قَلتُ لى أَحسنتُ فلقد

أَحسنتُ .

(موسيقى)

صوت : يا بحترى ، مولاي المتوكل يطلبك .

البحترى : إني إليه شاخص .

(موسيقى)

البحترى : مولاي .

المتوكل : أين أنت كنت ؟

البحترى : إني فى حمى مولاي أينما أذهب .

المتوكل : هل من شعر جديد ؟

صوت : (يقطع الحديث) مولاي ... إنه الأمر الجليل .

المتوكل : فقله .

صوت : لو أمر مولاي فأخلى القاعة .

المتوكل : إنها لخالية .

البحترى : أياذن لى مولاي ؟

المتوكل : بل أقم ، فما عليك سرى أبا عبيد .

الصوت : إنها المؤامرة حيكت خيوطها .. التأم شرها هنا فى قصر مولاي .

المتوكل : مؤامرة ... ما أهدافها ؟

الصوت : قتل مولاي .

المتوكل : قتلى ... !

البحترى : قتل مولاي .. والعياذ باللّهِ !

- المتوكل : فمن حامل عبئها ؟
الصوت : أحاف يا مولاي أن أقول .
المتوكل : فماذا أنت قائل إذن إن لم تذكر المتأمرين .
الصوت : إنه يا مولاي ... إنه يا مولاي .
المتوكل : ألا قل .
الصوت : المنتصر .. ابنك يا مولاي .
المتوكل : ابني المنتصر ما خطبه ؟ أصابه المتأمرين ؟ ويل لهم منى .. هل مساومه شعرة .. من هم المتأمرين ... من زعيمهم ؟
الصوت : ابنك يا مولاي ؟
المتوكل : الويل لك انطق .. ماذا به .. ماذا أصابه ؟
الصوت : يتأمر عليك .
المتوكل : (مذهولا غير مصدق) ماذا ... تقول من .. من يتأمر ؟
الصوت : أعلم هول الوقع يا مولاي .. تمنيت والله لو مت قبلها .
المتوكل : ولدى ؟
الصوت : عفوك يا مولاي ، ما على مثل هذا نسكت فإننا إذن خونة .
المتوكل : ألقيت بالقول ولم تشفعه ببرهان ... والآن حياتك أو البرهان على ما تقول .
الصوت : أعلم يا مولاي أنك سوف تسألني على ما قلت دليلا .
المتوكل : إلى به أسرع .
الصوت : فهم الساعة مجتمعون .. فلو تفضل مولاي .
المتوكل : إني ذاهب إليهم .. فقد الطريق .. هلم يا بحترى .
(موسيقى عنيفة)

- صوت : يا ولى العهد ... إن حرس الخليفة ينامون عند الفجر .
ولى العهد : فعند زرقة الفجر إذن (فى سداجة) .
آخر : لا بد لكل منكم أن يعرف مكمنه .. وحذار أن يعلو منكم صوت .
ولى العهد : وبعد أن تنتهوا ؟
صوت : نخرج إلى المدينة فنؤذن للفجر وفى الصلاة ندعو لك بالخلافة .
ولى العهد : هكذا .. هكذا (فى فرحة بدائية) .
الصوت : بل إننا سوف نترحم على الخليفة القليل ، ونذكر مناقبه ونتعهد أمام الناس بأن ندرك الثأر .
ولى العهد : (فى سداجة) نعم الثأر ... الثأر .
صوت الخليفة : (فى شدة عنيفة قاسية) من ينال ثأرى إذن يا منتصر ... ويلى منك وويلى عليك .
أصوات : (فى هرج وخوف) الخليفة ... المتوكل .
المنتصر : (ولى العهد) أبى ..
المتوكل : ليتك ما كنت يا بن العقوق ... خلافة سوف تفضى فى غد إليك .
فما بالك تتعجلها اليوم ... واحربا .. فبمن أثق ؟
المنتصر : أبى .
المتوكل : خذوه إلى السجن .
(أصوات خشخشة حديد) .
المنتصر : أبى ... أبى .
المتوكل : خذوه ... أما أنتم ... فإن لى معكم شأنا .
(موسيقى)
البحترى : وأرسل الخليفة المتأمرين إلى الموت .. أما ابنه فإننا تشفعنا عنده

- حتى رضى ألا يقتله وأبقاه سجينا .
المبرد : ويحك يا بحتري إنك لترى الكثير فى قصر المتوكل .
البحترى : إيه يا مبرد ... إنك صديق الطفولة ... فحذار أن يعرف أحد عنى
أنى نقلت الحديث .
المبرد : هيهات .. إن سرى فى مكانه يا أبا عبيد .. ألم أخبرك بما سمعته
عنك اليوم ؟
البحترى : أخيرا سمعت أم شرا ؟
المبرد : الحق أننى سمعت الخير والشر .
البحترى : فبالله إلا أسمعنى الخير .
المبرد : والشر ؟
البحترى : احبسه عنى .
المبرد : أما الخير فقد سمعت اليوم أن أحد تلاميذ أبى العلاء سأله عنك
وعن المتنبى وعن أبى تمام .
البحترى : أشيخ المعرة تقصد ؟
المبرد : هو أبو العلاء المعرى ومن غيره ؟
البحترى : أما والله فإنما مثل هذا من يسأل .. ومثل هذا من أحب أن أسمع
رأيه .. عجل بربك .. فماذا قال ؟
المبرد : قال : المتنبى وأبو تمام حكيمان . والبحترى هو الشاعر .
البحترى : أما والله إنها لمديحة يقصر دونها كل ما سمعت من مديح .
المبرد : ألم أقل لك إنه الخير .
البحترى : والشر .. ما الشر الذى سمعته .
المبرد : ألم تقل احبسه عنى ؟
- البحترى : قله .. فإنى إن لم أعلمه منك علمته من غيرك .
المبرد : سمعت فيك هجاء .
البحترى : ممن ؟
المبرد : وممن تنتظر ؟
البحترى : والله إن قريبي من المتوكل أوغل على أحقادا كثيرة .
المبرد : وأى حاقد تنتظر شعره ؟
البحترى : اللهم اجعله من أى شاعر إلا من ابن الرومى .
المبرد : بل هو والله من هجاك .
البحترى : (أسفا) فماذا قال ؟
المبرد : يقول :
- البحترى ذنوبُ الوجهِ نَعْرِفُهُ ومَنْ يكونُ ذنوبُ الوجهِ ذا أدبِ
أخرى بمن عَظُمَتْ فى الناسِ لِحَيْتُهُ من نخله الشعر أن يُدعى أبا العجبِ
البحترى : لقد غاظه شعرى .. فهو يعلم أنه الذهب المذاب .
البحترى : فهو إذن يسخر من لحيتى ... والله لأجيبه إجابة لم يتوقعها .
المبرد : وما هى ؟
البحترى : أتراك تلقاه ؟
المبرد : لعلنى ألقاه ... أو أنتى أعرف من سيلاقيه .
البحترى : فبربك إلا أرسلت إليه هذه (يسمع صوت النقود) .
المبرد : ما هذا ؟
البحترى : كيس فيه مائة دينار .
المبرد : وهو من هجاك ؟
البحترى : وما البأس ؟

المبرد : والناس يقولون عنك بخيل تخاف على دراهمك خوف الطاهي على الماء .

البحرزي : بل إنني والله لأكثر بخلا مما يقولون .

المبرد : فما هذه الدنانير ؟

البحرزي : إنني أعلم حرقة الفقر فقد عانيته أكثر أيامي ، وأعرف الطريق المسدود إلى أعتاب الأمراء ، وأعرف أن ابن الرومي شاعر على طبيعة الشعراء ، وهو لم يقل ما قال إلا فقرا وحقدا وغيظا .

المبرد : والله ما كذب القائل :

ومَهْمًا تَكُنْ عند امرئٍ من خَلِيقَةٍ وإنْ خَالَهَا تَخْفَى على الناسِ تُعَلِّمُ
إنما البخل فيك صناعة والطبع كرم ... جزاك الله خيرا أبا عبيد
جزاك الله خيرا ...

(موسيقى)

البحرزي : ماذا قال ابن الرومي حين وافاه المال ؟

المبرد : ويحه قد قال أفحش القول ...

البحرزي : لقد غاظه إحساني إليه أكثر من غيظه لإحساني في الشعر .. ماذا قال ؟

المبرد : قال أيجاول البحرزي أن يرشوني بمال هو مستجديه ، والله لا أسكت عنه أبد الدهر .

البحرزي : مرحبا به .

المبرد : سمعت اليوم قوما يمدحونك يا بحرزي ... ويقولون إنك أحببت فتاة ، فماذا قلت فيها ؟

البحرزي : ألا والله إنما لنا نحن - مادحي الأمراء - مداخل إلى الكلام تبدأ

بالغزل وتنتهي إلى المديح .

المبرد : ومن ذلك ؟

البحرزي : من ذلك قولي :

ألا هَلْ أتَاهَا، بالمغيبِ، سلامي
وهَلْ عَلِمَتْ أنى ضَيَّيْتُ وأنها
ومَهزوزة، هَزَّ القضيبي، إذا مَشَتْ
أحَلَّتْ دَمِي مِنْ غيرِ جُرْمٍ، وحرَّمتْ
فِدَاؤُكَ ما أبقيتِ مِنِّي، فإنه
صَلِي مُغرماً قد وَاثر الشوقُ دمعَه
فليسَ الذي حللته بِمُحَلَّلِ
وإنِّي لأبأءُ على كل لائِمِ
هل العيشُ إلا ماءُ كَرَمٍ مُصَفَّقِ
وهَلْ خَبِرْتُ وَجَدِي بِهَا وغرامِي
شِفَائِي مِنْ داءِ الضَّنَى، وسَقامِي
تَنَسَّتْ على دَل، وَحُسْنِ قَوَامِ
بِلا سببٍ، يَوْمَ اللِّقاءِ، كَلَامِي
حُشاشَةُ جِسمِ في نُحولِ عِظامِي
سِجَاماً على الخَدينِ، بعد سِجَامِ
وَلَيْسَ الذي حرَّمْتِه بِحرامِ
عليكِ، وعَصَاءُ لِكُلِّ ملامِ
يُرقِرقُه، في الكأسِ ماءُ عَمَامِ

المبرد : ذاك والله الشعر .. فسلام عليك .

البحرزي : إلى أين ؟

المبرد : إلى بيتي ، فلقد والله سكرت بخير خمر ، فما أدرى هل أنا بالغ أم أنني أتوه عنها .

البحرزي : (ضاحكا) فامكث حتى تفيق ، فإنني لأنتظر شيخا شاعرا .

(طرق على الباب)

البحرزي : هذا هو ... ادخل .

صوت : السلام عليكم .

البحرزي : وعليك السلام .. يا غلام ، هات غدائي .

المبرد : ويحك .. أتأكل الآن غداءك ، وقد أذنت الشمس بمغيب .

- البحرئى : لعلئ لا أجد أءدا ىشاركنئ فى طعمائ ؟
 المرء : أما أنا فمءقق لك أمنئك .
 الصوء : وأما أنا فلا .
 البحرئى : (فى ءزن) فأنت سءاكل معئ ؟
 الصوء : نعم ...
 البحرئى : أءرف ئا مرء من الشئء ؟
 المرء : لا والله .

- البحرئى : فإنه من بنئ الهءئن الءئن بقوء فىهم شاعر يعرفهم : وبنو الهءئن قئبله ملعونة شعث اللءئ مءشابهو الألوان .. لو ىسمعون بأكلة أو شربة بعمان أصبء ءمعهم بعمان (ءءءك شءءء) .
 (ءءءك مسءمر - طرء شءءء على الباء)
 صوء : (من الءارء) ئا بءرئى .. الءلفة ىطلبك .
 البحرئى : لئبه أكمل أكلتك أئها الشئء ، فلقد والله أءءت ءنئها بما أءءكئنا الساعة .

(موسئقئ)

- البحرئى : مولائى .
 المءوكل : ءشوءت والله أن أسمع منك شعرا .
 البحرئى : أنشد قصئءئ فى البركة ئا مولائى ؟ لهئى على لغة العرب كلمء قلت البركة أءسست بالءسرة .
 المءوكل : وله ؟
 البحرئى : عرفنا البركة ئا مولائى ماء راكءا أءبر الصفة أءرس الوءه ، ولكئك ئا مولائى صنعئها من الزئبء فكأنئ بك مولائى أمرء النور

أن ىسكب فىها ءم أمرءه لا ىبرءها فأطاع ئا مولائى منسكبا وماكئا ، لقد والله أءسئء ءئن وصفئها بقولئ :
 مئلوا إلى الءار من لئلى نءئئها نعم؁ ونساءها عن بعض أهئئها
 ئا ءمنة ءاءءئها الرئء بعءئها ءئء ءنشرها طوراً وءطوبئها
 لا زلء فى ءلل للءئر ضافئة ىنئرها البرق أءئنا وئسءئها
 مالكم لا ءقولون أءسئء . فلقد والله أءسئء وأءسئء .
 (أصوءاء ءءءك) .

ئا من رأئ البركة الءسئاء رؤئئها والآنساء؁ إذا لاءء مءائئها
 ىءسبئها أنها؁ فى فضل ربئئها ءعدء واءءة والءر ءائئها
 كأن ءن سلئمان الءئن وكوا إءءاعها؁ فأءقوا فى معائئها
 فلو ءمر بها بلقئس عن عرض قاءء هى الصرء ءمئئلاً وءشبئها
 ءنصب فىها وفوء الماء مءءلة كالءئل ءارءة من ءئل مءرئها
 أما والله لقد أءسئء وأءسئء .

المءوكل : أما والله لقد صءقت .. فهكءا الإءسان ىكون .. وإن كان شعرك ىءءاء إلى منشد .

- البحرئى : ألا أءسن إنشاء شعرى ئا مولائى ؟
 المءوكل : بل إنك والله ءسئئ إئبه أبلغ إساءة ... أو لعل ءرورك هو المسئء .
 البحرئى : ئا مولائى إنئ أنءر بئن ىءك نفسئ فى كل كلمة .. أكءئر إءن أن أءى هءه الأءزاء من نفسئ وهئ ءفصل عنئ لءسركم .
 المءوكل : لم ءءبرئئ ئا بءرئى .. أئهما أشعر ؟
 البحرئى : أنا أم أبو ءمام ؟
 المءوكل : نعم ... هءا ما أرءء أن أسالك فىه .

البحرئى : أحمد الله أننى ما قرنت بغيره ... إن أردت الحق يا مولاي بغير
تواضع أو غرور فإننى أرى جيد أبى تمام خيرا من جيدى وردئى
خيرا من رديته .

المتوكل : لقد عدلت والله أبا عبيد ... أسمعنا إذن ما قلت فى عرش
كسرى .

البحرئى : شكر الله لك يا مولاي ... ذلك والله هو الشعر ...
صُنْتُ نَفْسِي عَمَّا يَدْنُسُ نَفْسِي وَتَرَفَعْتُ عَنْ جَدًا كُلِّ جَيْسٍ
وَتَمَاسَكْتُ حَيْثُ زَعَزَعَنِي الدَّهْرُ رُ التَّمَا سَا مِنْهُ لِيَتَعَسَى وَنُكْسِي
حَضْرَتُ رَحْلِي الهمومُ فوجهتُ إلى أبيضِ المدائنِ عُنْسِي
أَتَسَلَّى عَنِ الخَطُوبِ، وَأَسِي لِحَلٍ مِنْ آلِ سَاسَانَ ، دَرَسِ
ذَكَرْتَنِيهِمُ الخَطُوبُ التَّوَالِي وَلَقَدْ تُدَكِّرُ الخَطُوبُ وَتُنْسِي
لَوْ تَرَاهُ عَلِمْتَ أَنَّ اللَّيَالِي جَعَلَتْ فِيهِ مَأْتَمًا بَعْدَ عُرْسِ
وَهُوَ يُنْبِيكَ عَنْ عَجَائِبِ قَوْمٍ لَا يُشَابُ البِيَانُ فِيهِمْ بَلْبَسِ
فَإِذَا مَا رَأَيْتَ صُورَةَ أَنْطَا كِيَةَ ارْتَعَتَ بَيْنَ رُومٍ وَفِرْسِ
وَالْمَنَايَا مَوَائِلُ، وَأَنُوشِرُ وَان يُزْجِي الصَّفُوفَ تَحْتَ الدِّرْفَسِ
تَصِفُ العَيْنُ أَنَّهُمْ جَدُّ أَحْيَاءِ ءَ لَهُمْ بَيْنَهُمْ إِشَارَةٌ خُرْسِ
يَغْتَلِي فِيهِمْ ارْتِيَابِي ، حَتَّى تَقْرَاهُمْ يَدَايَ بِلْمِيسِ
صوت : تأذن لنا يا مولاي ؟

المتوكل : على بركة الله (أصوات انصراف القوم) .

البحرئى : أرايت يا مولاي .. غاظهم أن تؤثرنى وحدى باهتمامك .

المتوكل : دع عنك أمرهم .. فلقد خلونا فليلنا شعر حتى الصباح .

البحرئى : رضاك يا مولاي حسبي .

المتوكل : أكمل القصيدة .. آه .. قتلنى الكافر .. إلى يا بحرئى .. إلى ..
ابنى قتلنى .

البحرئى : مولاي .

صوت : إياك أن تتقدم .

(موسيقى عنيفة)

البحرئى : حَرَامٌ عَلَيَّ الرَّاحُ بَعْدَكَ أَوْ أَرَى دَمًا بَدَمٍ يَجْرِي عَلَى الأَرْضِ مَائِرُهُ
وَهَلْ أُرْتَجَى أَنْ يَطْلُبَ الدَّمُ وَاتَرَ يَدَ الدَّهْرِ وَالمُوتُورُ بِالدَّمِ وَاتَرُهُ
أَكَانَ وَلِيَّ العَهْدِ أَضْمَرَ غَدْرَةَ فَمِنْ عَجَبٍ أَنْ وَلِيَّ العَهْدِ غَادَرُهُ
فَلَا مُلَى البَاقِي تُرَاثَ الذِي مَضَى وَلَا حَمَلَتْ ذَاكَ الدَّعَاءَ مَنَابِرُهُ

* * *

الفصل السادس

" مال وبنون "

فكرتك أنت وآمالك .. ما أتصوره أنا سعادة لى هو سعادتى . أما
آمالك أنت وما تتخيله أنت سعادة ، أما هذه فصورة غريبة عنى لا
تعرفها نفسى ولا تسعد لها ولا ترضاها من المال .. الغنى ..
الذهب ... الملك السلطة .. المجد .. وكل هذا فى نظرك أنت
ولعله فى نظر كثير غيرك سعادة . أما عندى .. عندى أنا فعبء
حيناً ، ومادة مختلفة الألوان جامدة حيناً آخر .

سرور : مولاي . هو ما تقول ، ولكن لا بد لنا أن نبين لك ما تفرح فيه من
نعيم فإنه قل بين البشر من يتمتع بمثله .

قارون : لا بد أن أحس أن هذا هو النعيم ، وإذا أحسسته فلن أحتاج إلى
أحد ليبينه لى .

سرور : سوف يأتى يوم يا مولاي تعرف فيه أى نعيم كنت فيه ، وأخشى
والله يا مولاي أن تأسف يومذاك ولن يفيد يومذاك أسف .

قارون : هراء .. هراء ما تقول .

صوت : مولاي .

قارون : ماذا تريد ؟

الخادم : مولاتى تريد أن تلقاك .

قارون : (ساخرا) أثبتها أنى سأذهب إليها حين أنتهى من المجلس .

الخادم : مولاي عفوك ... إنها تريد أن تراك الآن .

قارون : (ساخرا) الآن ؟

الخادم : إن أذنت يا مولاي .

قارون : أنا قادم إليها .

الخادم : أمرك يا مولاي .

الرواية : أغنى ملوك التاريخ ما مضى منه ، وما هو فى مطوى الغيب مستقبل
قارون . أول من سك النقود وما ذكر الغنى إلا وقال قائل :
صوت : (صوت فى صدى) قارون .

الرواية : رب المال الذى لم يشمله عد .. قارون .

جونج

سرور : المال عندك بحور ، والناس عند بابك خدم ، والزمان طوع أمرك
فاسعد إنما السعادة أن تحس بها وتلتذها .

قارون : إنما السعادة أن أنال كل ما أريد ... ولم أنله .

سرور : فإذا لم يأت الولد ؟ ماذا أنت فاعل ؟

قارون : لا بد أن يأتى ... إنه السعادة .. لا بد أن تكتمل لى السعادة ...
فإنى قارون .

سرور : مولاي .. الحياة لم تخلق للسعادة كاملة أبدا .. مولاي ، إن
السعادة ومضات فى النفس تحبو وتشرق .. مولاي ، لم ير الناس
فى الأزمان الماضية على طول الأزمان سعادة لا تنغصها تعاسة ،
مولاي ، إن السعادة التى ترنو إليها صورة لم يخلقها إلا خيالك ،
تأبى الحياة أن تحققها فاسعد بما أنت فيه .. فإنك فى السعادة لا
تدرى بها ..

قارون : (فى سخريه) سرور ، أنت تهذى ... السعادة أمل يتحقق ،
والسعادة هى ما أتخيله أنا .. إن فكرى أنا عن السعادة ليست

(يسمع صوت الباب يغلق)

- قارون : عاقر وتشدد فى طلبى وكأنها أنجبت لى أولياء العهد .
- سرور : أهى يا مولاي العاقر ؟
- قارون : (غاضبا) يقينا .
- سرور : ومن أين يأتى اليقين يا مولاي .. إنها الزوجة الثالثة ، ولم تحمل واحدة قبلها حتى تقول عن هذه أنها عاقر .
- قارون : بل حملت الأولى .
- سرور : ذلك الحمل الذى لم يتم .. مولاي عفوك .. فلماذا تركتها إن تكن ولودا ؟
- قارون : سرور .. أنت كثير الكلام .
- سرور : مولاي ، عودتنى أن أقول الحق .. وما أظنك إلا تغضب منى إن أنا أخفيت عنك ما أراه صوابا .
- قارون : أنت تغالى فى الحق .
- سرور : الحق يا مولاي هو الحق وهو لا يقبل مغالاة ولا تهوينا .. الحق لا يتغير يا مولاي .
- قارون : هو ما ترى يا سرور ، هو ما ترى .. والآن لا بد لى أن أرى العاقر .
- سرور : سترى زوجتك يا مولاي .. سترى الملكة .
- (موسيقى)
- الملكة : مولاي .
- قارون : (فى ضيق) خيرا ماذا تريدين ؟
- الملكة : (فى فرح) مولاي إبنى ...

- قارون : (مقاطعا) لا تقولى إنك حامل .
- الملكة : ومالى لا أقول وهو الحق .
- قارون : حديث معاد ... أسمعك منك فى كل حين ، ثم ما يلبث أن ينكشف عن وهم خالص .
- الملكة : ولكنه فى هذه المرة حق خالص .. مولاي إن ولدك يركلنى .
- قارون : (بين مصدق ومكذب) بلقيس .. أحقا ما تقولين ؟ .. أحقا ما تقولين ؟
- الملكة : مولاي إن شئت ركل يدك أنت أيضا .
- قارون : هو الحق إذن .. هو الحق أن لى ولدا .. أن لى .. (متراجعا) أهو ولد يا بلقيس ؟
- الملكة : أرجو أن يكون يا مولاي .
- قارون : إنه ولد .. أنى أعرف ذلك ، إنه ..
- (موسيقى)
- صوت امرأة : ولى عهدك يا مولاي .
- (موسيقى)
- قارون : هيه يا سرور .. أرأيت اليوم .. إنها السعادة الكاملة .
- سرور : مولاي أدامها الله عليك ، ولكن ...
- قارون : بربك يا سرور بغير ولكن .
- سرور : لا بد منها يا مولاي .. إن الولد لم يكبر بعد .. أهو الذرية التى كنت تريدها ؟ أنجبت ! أهو مثل أبيه ؟ أيستطيع أن يقوم على مالك وملكك غير مسرف ولا شحيح ، غير ظالم ولا ضعيف ... من يدرى مولاي ؟

- قارون : (فى تفكير) سرور .
 سرور : مولاي .
 قارون : من الذى سماك سرور ؟
 سرور : أبى يا مولاي .
 قارون : أخطأ أبوك .
 سرور : بل أصاب ... إن السرور أن تعرف الحق بلا وهم ولا تمويه .
 قارون : إنك قادر على أن تقلب السرور تعاسة .
 سرور : فاذا كر يا مولاي يوم كنت أحاول أن أقلب التعاسة سرورا .
 قارون : لم تفلح فى إدخال السرور إلى نفسى ، ولكنك فى إدخال التعاسة موفق كل التوفيق .
 سرور : هو الحق يا مولاي .
 قارون : أخشى والله أن أكره هذا الحق .
 سرور : لن يخسر الحق يا مولاي .. وستخسر أنت .
 قارون : إننى اليوم سعيد .. فاسعد معى يا سرور .. ودع الغد إلى الغد .
 إننى اليوم سعيد ..
 سرور : مولاي جعل الله غدك أسعد من يومك ، ويومك أسعد من أمسك . فليس أحب لى يا مولاي من أن تكون سعيدا .. أن تدوم هذه السعادة .. أدامها الله يا مولاي .. أدامها الله يا مولاي .
 (موسيقى)
 قارون : (فى حزن) بلقيس أشيرى على .. ماذا أفعل ؟
 بلقيس : مولاي إنك الملك .. الأطباء فى أنحاء الأرض يتمنون أن يطيعوا لك أمرا .

- قارون : وهل رأيت الطب أجدى فى مثل هذه الحال ؟
 بلقيس : (باكية) بربك يا مولاي ، بحياتى ، بعض الأمل يا مولاي . بعض الأمل .. فمن يدرى ما يريد به الزمان ؟
 قارون : إن الزمان قد أجمع أمره على السخرية منى ..
 بلقيس : نحاول يا مولاي .
 قارون : سنوات خمس نحاول ونحاول ... فما نفعت المحاولة شيئا .. أى خير يعود علينا إلا إحياء أمل ما يلبث اليأس أن يميته .. وليس أبشع من اليأس إلا الأمل يحيا ثم يموت .
 بلقيس : بعض الصبر يا مولاي .
 قارون : (فى سخرية) عجيب هذا الزمان .. أنا .. قارون .. أغنى ملك عرفه العالم .. أريد بعض الصبر فلا أجد .. ومع ذلك لا أجد إلا الصبر ملجأ .. فى لى من غنى فقير ، ويا لى من ملك ذليل .. ألا من يبيعنى ولدا صحيحا بمالى وملكى ، ولكن كيف للبتين أن يباعوا ، إنهم قطعة منا .. منا نحن .
 بلقيس : مولاي إن من أنجب مرة قد ينجب أخرى .
 قارون : فإذا جاء أصم أبكم مثل الأول ؟
 الملكة : مولاي بربك لا تزد الجرح ألما .
 قارون : (صارخا) ماذا .. أنتخشين الحق ؟ أصم أبكم .. إنه الحق .
 الملكة : (فى ضراعة) مولاي .
 قارون : معذرة أنت لم يعودك أحد سماع الحق كما عودنى سرور أن أسمعه .
 الملكة : بعض الشفقة يا مولاي .. بعض الشفقة .
 قارون : (فى تلطف) نعم . معذرة أنت . أقسو عليك ومصيبتى فى ابننا

هى مصيبتك . بل لعلها عليك أشد .. ولكن اغفرى لى .. فأنت
تدركين .

الملكة : غافرة يا مولاي .

قارون : أتمنى اليوم أن ...

الملكة : حذار يا مولاي .

قارون : ومم الحذر ؟ إن حياته كارثة عليه وعلى عليك وعلى الملك .

الملكة : مولاي ، اذكر كم كنت تتوق إليه .

قارون : كنت أتوق إلى ابن لى لا إلى مسخ أصم أبكم لا يبين ولا يعى .

الملكة : مولاي ، إنها مشيئة السماء .

قارون : السماء رحيمة غير قاسية .

الملكة : لعل فى ذلك رحمة وأنت لا تدري .

قارون : أين الرحمة ؟ .. أين الرحمة فى والد يتمنى أن يموت ابنه الذى كان

يتوق إليه ؟ .. أين الرحمة فى ملك ماله لا يعد ولا يخصى

ولا يستطيع أن ينال ابنا مثل أحقر مخلوق فى مملكته ؟ .. أين الرحمة

فى أمل كنت أهفو إليه وأتمناه فإذا هو حلم يتحقق وحين يتحقق

نقمة قاتلة ؟ .. أين الرحمة فى ألم عاصف كلما رأته أو سمعت

خطوات أقدامه ، فما أسمع منه غير خطوات أقدامه .. لا إن

السماء رحيمة ، أرحم من أن تصيينا بهذا البؤس والألم والشقاء .

الملكة : لعل غيره يعزبك يا مولاي .

قارون : غيره تقولين .

الملكة : إننى منذ أشهر يخيل إلى .

قارون : لا تزيدى الجرح يا بلقيس .. لا تزيدى الجروح .

الملكة : أيزيدها يا مولاي .

قارون : فكيف إن جاء الثانى مثل الأول ... أصم أبكم ؟

الملكة : السماء أرحم من هذا يا مولاي .. السماء أرحم من هذا .

قارون : فلتكن مشيئة السماء إذن ... لتكن مشيئة السماء .

موسيقى (تصاحب كلام الراوية)

الراوية : وكانت مشيئة السماء وجاء الولد .. ولم يكن أصم .. لا ولم

يكن أبكم بل كان صحيحا قويا فارسا شجاعا .

(تنقطع الموسيقى)

قارون : نحمد الله يا سرور ، لقد جاء اليوم الذى تتم فيه سعادتى .

سرور : أدامه الله يا مولاي .

قارون : غير أنى أخاف على ابنى .

سرور : أيهما يا مولاي ؟

قارون : ابنى .. ألى غير ابن واحد ؟

سرور : بل لك اثنان يا مولاي .

قارون : ويحك يا سرور ما ترانى سعيدا إلا وذكرتنى بما ينفصنى .

سرور : ابنك يا مولاي .

قارون : إنه تعاستى الوحيدة فى الحياة .

سرور : مولاي ، إن السعادة لا تكتمل .

قارون : أعرف يا سرور .. إنه الحق .. إنه الحق دائما .

سرور : دائما يا مولاي .

قارون : ولكنى أخشى على ابنى السليم .. على رائد .

سرور : وما خشيتك عليه ؟

(صوت فتح الباب)

رائد : أبى هل أمرت أن أمثل بين يديك ؟
 قارون : ما هذا الذى سمعت عنك يا رائد ؟
 رائد : ماذا يا أبى ؟
 قارون : سمعت أنك تخاطر بنفسك ، ولا تخاف الليل ولا تريد عن الصيد إلا وتصيبه .

رائد : إنما هى رياضة يا مولاي .

قارون : يا بنى إنك أمل بلادك وأمل أبويك . فحذار أن تجررك الرياضة إلى مصرع هذه الآمال التى تحيط به ، فقد أصبحنا شيوخا لا نطبق لهذه المصيبة احتمالا .

رائد : مولاي أمرك .

قارون : حذار يا رائد .. حذار يا بنى .

(موسيقى)

صوت : (من بعيد) وامصيتاه . قتل رائد .. مولاي يا ملك الملوك .. قتل رائد .. مولاي .

(موسيقى)

(تصاحب كلام الراوية)

الراوية : قتل الأمل البكر .. صرع الفتى اليافع .. اليأس والحزن والقنوط .. لم يجد مال قارون بل لعل المال زاد النار لهيبا فقد أصبح بلا وارث له ، إلا هذا الفتى الأبهى الأصم .

(تنقطع الموسيقى)

قارون : صادق أنت يا سرور .. صادق أنت .. تعاسة هى الحياة .. تعاسة

كامنة .

سرور : مولاي ، أنا لم أقل هذا أبدا .
 قارون : فقله إذن يا سرور فهذا هو الحق .
 سرور : بل إنه بعيد عن الحق كل البعد .
 قارون : أما ترى حالى يا سرور ؟ أما ترى ؟ لشيخ قضى حياته تتعلق آماله بفتاه أن يرث ماله وملكه .. ويبقى المال والملك ولا يبقى الفتى .
 سرور : مولاي لا تستسلم للحزن ، فإن عليك أعباء لا بد لك أن تقوم بها .

قارون : دعنى وما بى يا سرور ، لا أريد أعباء ولا ملكا .

سرور : مولاي أنت لا تملك لهذا العبء دفعا .. فمن يقوم به إن لم تقم أنت ؟

قارون : ليكن ما يكون ، أما أنا فما أطيق يا سرور .. لا أطيق .

سرور : مولاي ، إن الأعداء يتربصون بنا شرا ولا بد لنا أن نجهز لهم قبل أن يدهمونا .

قارون : جهز لهم أنت ما تريد .

سرور : مولاي لم أكن يوما من الذين يقحمون أنفسهم فيما لا يحسنون أداءه ... الجيش جيشك وأنت أدرى الناس به ، ولا بد يا مولاي أن تقوم أنت بشأنه .

قارون : سرور ، بربك دعنى وحزنى .

سرور : إنك يا مولاي إن عملت ذهنك فى شئون الدولة نفضت عنك هذا الحزن القائم واستطعت أن تخلص منه .

قارون : ولئن الملك بعدى ؟

سرور : للأجيال والقرون ... للأزمان القادمة ... للتاريخ يا مولاي ..
فإني أخشى أن يقول عنك التاريخ تسلم بلاده حرة وأسلمها ذليلة
محتلة .

قارون : ألا يمهّد لي التاريخ عذرا في آمال شبابي التي قتلت ؟

سرور : مولاي إننا نحن - ونحن نحيا معك - لا نمهّد لك العذر فكيف
بالتاريخ وهو أصداء الوقائع ؟

قارون : ألا تلتمسون لي العذر ؟

سرور : الملك يا مولاي فوق العواطف والأحزان .

قارون : سرور دعني بربك يا سرور .. لا أطيق .. لا أطيق .

(موسيقى)

سرور : مولاي ، الأعداء يجهزون الجيش .

قارون : دعني بربك يا سرور .

(موسيقى)

سرور : الأعداء يا مولاي .

قارون : سرور إني لا أطيق .

(موسيقى تنتهي بطبول حرب وجلبة وضجيج)

سرور : أدركنا يا مولاي .

قارون : وهل أطيق أن أدرك أحدا ؟

سرور : الأعداء يا مولاي يحيطون بنا من كل جانب ، فربك يا مولاي إلا
نجوت .

قارون : أنجو ؟.. ولمن أنجو ؟. وكيف أنجو ؟

سرور : مولاي ، لقد أتيت لك بملابس الرعاة .. فتنكر فيها يا مولاي

واخرج من المدينة .. اخرج يا مولاي .

قارون : أين زوجتي .. وأين ابني ؟

سرور : هنا يا مولاي .. إني مناديهم الآن .. البس أنت هذه الملابس حتى
أناديهم .

موسيقى (قصيرة)

قارون : هلمى يا بلقيس .

الملكة : إلى أين ؟

قارون : نهرب .

الملكة : أما أنا فلا ؟

قارون : كيف ؟

الملكة : شيخة أنا أنتظر الموت وكأنه أمل لا سبيل لي إليه ... فاهرب أنت
وابننا ، أما أنا فمقيمة هنا مع قبر ابني لا أتركه .

قارون : لا أتركك أبدا .

الملكة : بل تتركني .. فإنك إن أسرت أو قتلت بأيدي أعدائك فعار الأبد
وهزيمة لشعب يتمثل فيك أملا ضخما .. أما أنا .. أما أنا ..

ما أنا ؟ زوجة عقيم بل شر من زوجة عقيم ، مات السليم من أبنائي
وبقي المريض .. دعني أحقق أملى بالموت يا مولاي . بربك .

سرور : بربك إلا أطعت زوجك .. آه .. أصابني النهم .. النجاة
يا مولاي ... لقد بلغ أعداؤك القصر .

قارون : هلمى يا بلقيس . لات حين .

الملكة : (في نزعات الموت) لا تحين أيها الملك فقد نفذ السهم إلى قلبي ...

لقد شاءت السماء أن أموت إلى جانب ولدى ، وداعا

يا مولاي .

(موسيقى)

الراوية : وخرج قارون من قصره ومعه ابنه الأصم الأكم رفيق ولا رفيق ... ولد ولا ولد ... ويحك قارون لكم دارت بك الأيام ... فى ثياب الرعاة تخرج فارا وأنت من ملك أموال الأرض أجمعين .

قارون : فأنت إذن كل ما بقى لى أيها الابن .. بقية ملك ومال وولد .. أنت بأذن لا تسمع ولسان لا ينطق .. أنت من بقى لى .. لى لى لى غيرك .. غضبت منى الدنيا وأنا فى مجدى ومالى وسلطانى ، وازداد غضبى عليهما حين جئت أنت عاجزا عاجزك هذا ، فإذا هى تسخر من غضبى وتسلبنى كل شىء إلا الشىء الوحيد الذى يزيدنى تعاسة وألما .. كم أحس بالجرم نحوك كلما رأيتك .. لماذا جئت بك إلى هذه الدنيا ؟ ولماذا بقيت فيها بعد أن جئت ؟ ألا تشهد ظلم الزمان لأبيك ؟ مسكين أنت حقا ؟ .. أتعرف أنك عاجز ؟ أم لعلك لا تعرف ؟ .. ولى أخدع نفسى .. لكم رأيت الدموع جامدة فى عينيك ومنهمرة لا تطيق لها كتماننا .. إلى أين بنا الطريق .. يا بنى ؟ .. إلى أين بنا الطريق ؟

الراوية : وفى عرض الصحراء مشى الملك ومعه هذه النفاية التى تخلفت من ملك عريض ومال عديد وولد قوى . وبعد ألم وجهه لقى الملك خيمة .

قارون : سلاما يا صاحب الدار .

صوت : سلاما أيها الغريب .

قارون : انقطع بنا الطريق فهل لمبيت لنا مكان ؟

الصوت : إن الأعداء تحيط بنا من كل جانب ، فكيف نعرف أنك لست منهم ؟

قارون : إننى لا أملك سلاحا .. والأعداء منتصرون . والنصر لا يتأتى لشريد فى الصحراء .

الصوت : ومن هذا الذى معك ؟

قارون : إنه ابنى .

الصوت : قوى هو شديد .

قارون : ولكنه أصم أبكم .. لا يسمع ولا ينطق .

الصوت : فادخلا .

قارون : أوحيد أنت ؟

الصوت : معى أخى .. ادخلا .

(موسيقى)

الصوت : إن هذا العربى يحمل مالا كثيرا فيما يخيل إلى .

الأخ : وكيف عرفت ؟

الأول : سمعت صليل الذهب تحت ملابسه وهو سائر .

الثانى : الذهب ؟

الأول : الذهب .

الثانى : فماذا تنتظر ؟ هلم نقتله .. أنائم هو ؟

الأول : إنه نائم .

الثانى : هلم بنا .

الأول : احذر أن يسمع أقدامك .

الفصل السابع

« النصر المبين »

: من الأعماد ، من الأشعة الأولى لنور الإسلام من هذه الشواهد
تعلو فلا يلحق بها نظر ، وتسمو فلا يهفو إليها فكر ، وإنما هي
تهدى فتهدى وتبين فتنسیر ، وتضئ فنرشد من القمم
الباسقات للآباء والأجداد . وقف عندهم التاريخ العربى خاشعا
فى إجلال ووقف دونهم التاريخ الغربى صاغرا فى ذلة . من
العرب الأولین خلص إلینا تاریخهم نقیا نقاء إيمانهم بالله ، رفيعا
رفعة اعتناقهم للمبدأ . حاول المؤرخون أن ينالوا من تاريخهم
ولكن الأدلة تكاثرت عليهم ، وانثالت إليهم الحجج إرسالا ،
ولم يملكوا إلا الدهول والحيرة ، ولم يملكوا إلا الاعتراف أنه
الحق .

(موسيقى)

: نراكم أيها العرب قد انسقتم وراء محن لا تعلمون فكرة ،
ولا تنظرون إلى تاريخ الأنبياء لتعرفوا إن كان دينكم هذا على
حق ، أم هو يسوق القول بغير حجة ولا برهان .

: بل نراكم أنتم أيها اليهود منذ حل محمد بالمدينة لا تسكتون عن
الإيقاع بيننا وإثارة الشكوك فى نفوسنا . وقد كان أولى بكم
وأنتم أصحاب كتاب يدعو إلى التوحيد أن تنضموا إلى دعوة محمد
وتؤيدوها .

: لقد كنا والله خليقين بما تقول ، ولكننا نرى أمورا تجعل الشك فى

الثانى : ومم الحذر ؟ الأب نائم والابن أصم .. أبكم .. لو رأى ما
استطاع أن ينطق .

الأول : فهات الحبل .

صوت : (يحاول أن ينطق فهو ضعيف) أبى .

الأول : أسرع .

الثانى : هل معك الخنجر ؟

الأول : ها هو ذا .

الثانى : هاته ... هاته .

الابن : حذار أيها اللصوص .. حذار .. إنه قارون .. إنه الملك ..

قارون : من ؟ أنت .

الابن : لقد حاولا أن يقتلاك .

قارون : (باكيا) أنتنطق ؟ أنتنطق يا بنى ؟

الأول : عفوك يا مولاي .

الثانى : عفوك يا مولاي .

قارون : عفوى وشكرى وحمدى .. لقد نطق ولدى .. لقد نطق فى

اللحظة التى أريدك فيها أن تنطق . لقد جعلت لحياتى معنى

يا ولدى العزيز .. لقد جعلت يأسى أملا وتعاستى سعادة .. هلم

بنا يا ابنى إلى الحياة .. لقد منحتنى السماء خيرا ما سلبه منى

الزمان .. منحتنى ولدى .. منحتنى الحياة .. الأمل .. المستقبل ..

إلى المستقبل يا بنى .. إلى المستقبل لقد أشرق لى الطريق الآن ..

إليه .. يا أمل الشباب ..

* * *

الراويّة

صوت

آخر

الأول

نفوسنا يغلب اليقين .

الثانى
الأول

: وماذا ترون ؟
: نرى محمدا .

(موسيقى)

الثانى

: يقول اليهود يا رسول الله إنك هاجرت إلى المدينة ولم تتركها ،
وأن الأنبياء جميعهم ذهبوا إلى بيت المقدس ، ويقولون إنه جدير
بك أن تذهب إلى المسجد الأقصى لتكون من الأنبياء . فقال
رسول الله : ﴿ قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ
مُسْتَقِيمٍ * وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ
وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا
إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً
إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ﴾ « صدق الله العظيم » صدق الله
العظيم أيها اليهودى .

الراوي

: ومضت سنوات يزيد مضيها شوق المسلمين إلى قبلتهم ومشرق
الوحي على نبيهم ، وقد أصبح الحنين فى نفوس المهاجرين
لاعجاب متوثبا إلى ملاعب صباهم ومعاهد شبابهم ومدارج
الآمال الباكرة لحياتهم ، وأحس النبي بلواعج أصحابه فإذا هو
يدخل عليهم وقد اجتمعت كثرتهم فى المسجد فيلقى إليهم
سلاما فرحا مستبشرا .

أصوات

: وعليكم السلام يا رسول الله ورحمة الله وبركاته .

الراوي

: ويقول النبي : « لقد أذن الله لكم أن تدخلوا المسجد الحرام
إن شاء الله آمنين محلقين رءوسكم ومقصرين لا تخافون » .

صوت

: سبحان الله .

آخر

: الله أكبر .

آخر

: الحمد لله .

آخر

: محاربين ندخل المسجد الحرام يا رسول الله .

الراوي

: ويقول النبي : « أذنوا فى الناس بالحجج » .

آخر

: متى يا رسول الله ؟

الراوي

: ويقول النبي : « فى ذى القعدة إن شاء الله »

صوت

: فى ذى القعدة يا رسول الله ؟ فى الشهر الحرام إذن .

آخر

: فلا حرب إذن ولا سلاح .

آخر

: سلاما ندخلها بإذن الله ...

الراوي

: وخرج المسلمون حول النبي وقد علموا أنه ما يريد إلا سلاما .

إنما هى زيارة لبيت الله الحرام وما إن بلغوا ذى الخليفة حتى
أحرم محمد فأحرموا معه وأصبح واضحا أن محمدا إنما ينشر
السلام فإنه محرم لا يبغي عدوانا ... ولكن من المشركين فرسانا
أبوا أن يفهموا الوضوح وما بعجيب عليهم الزيف فهم أنفسهم
من عموا عن الإسلام .. يجتمع جمعهم - هان جمعهم - ويقول
قائلهم : ذل قائلهم .

صوت

: ها قد أقبل محمد يغزوكم فى دياركم بعد أن دحركم حول
الخنديق .

صوت

: وهل محمد بحاجة إلى أن يتشبه بالأنبياء فى هذه التوافه ؟

الثانى

: يقولون إنه مادام المسلمون يجعلون المسجد الأقصى قبلتهم ، فلا بد
لمحمد أن يهاجر إلى المسجد الأقصى ، فيجعل من المدينة وسطا فى
هجرته بين مكة والمسجد الأقصى .

الراوي

: وسأل النبي ذلك المتحدث : ألم تفهم ما يرمى إليه هذا اليهودى ؟

اليهودى : فهمته يا رسول الله إنه يريد أن يشعلها فتنة بيننا .
الراوية : وكان ذلك هو ما أراده اليهود ، ولكن هيهات إنهم يمكرون ويمكر الله ، وإن ربك لأشد مكرًا .

(موسيقى)

الثانى : اسمع أيها اليهودى لقد دحض الله فتنك .
اليهودى الأول : وكيف أيها المسلم ؟

الثانى : لقد أنزل آياته عز شأنه فجعل الكعبة هي قبلتنا . اسمع ما يقول
« بسم الله الرحمن الرحيم » ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾ .

الثانى : فقبلتكم الكعبة إذن ؟
الثانى : إنها قبلتنا .

الراوية : وهكذا يميل ..

(موسيقى)

الثانى : يقول يا رسول الله وهكذا يميل بكم محمد من قبلة إلى قبلة وأنتم وراءه ، لا تدرون لماذا كان المسجد الأقصى قبلتكم ؟ ولماذا أصبحت الكعبة قبلتكم ؟ .. ألا تسألون .. ألا تفهمون !؟

الراوية : وقال النبي لمن يحادثه : « وفهمت ما يرمى إليه » ؟

الثانى : فهمته يا رسول الله ، وهل يريد إلا الوقعة والفتنة .

الراوية : وكان ذلك هو ما أراده اليهود ، ولكن هيهات إنهم يمكرون ويمكر الله ، وإن ربك لأشد مكرًا .

(موسيقى)

الثانى : لقد جاءك الجواب أيها اليهودى .. قد جاءك الجواب .

اليهودى : وأين هو ؟

الثانى : اسمع « بسم الله الرحمن الرحيم » ، « سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَاهُمُ عَنْ قِبَلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا »
(موسيقى)

آخر : والله لئن دخل مكة اليوم فهيهات هيهات لكم أن يخرج بعدها أبدا .

آخر : واللات لا يدخلها أبدا .

آخر : يقولون إنهم يريدون أن يدخلها مسالما فلا عدوان ولا وقائع .

آخر : أفنتظرون إذن أن يدخل مكة ، ثم ننظر إن كان يريد سلاما أم حربا ؟

آخر : إذن فهو عار الأبد وخزى الدهور .

آخر : بل إننا نخشى أن يكون محمد يضم لنا المكر والخديعة .

آخر : والله يخيل إلى أنه يضم السلم حقا ، فقد علمت أنه دعا العرب من غير المسلمين إلى الزيارة معه .

آخر : وأين السلام فى هذا ؟

الأول : إن من ينوى الحرب لا يدعو إليها إلا الذين يثق فى إخلاصهم .

آخر : إنه قد أحرم .

الأول : لأخشى أن يكون السلاح فى ثياب إحرامه .

آخر : إخالك وإهما ؟

الأول : إننا لن نسمح لمحمد أن يطأ مكة .

آخر : فنجهز جيشا وملتقى بمحمد .

الأول : إن الجيش معد فها أنت ذا ترى شباب قريش مجتمعاً إليك منذ علم (رعوس فى السماء)

- أن محمداً فى طريقه إلينا .
 آخر : فمن نولى عليه ؟
 الأول : جبار الحروب وعمادها .
 آخر : أخالد بن الوليد تريد ؟
 الأول : إياه أردت .
 آخر : أرى خالدا يتسمع أنباء محمد فى تشوق وكأنى به يكاد يؤمن بالدين الجديد .
 الأول : أراك محمداً تقول ؟ فلو أننا عقدنا لعكرمة بن أبى جهل معه حمدنا العقبة ووثقنا أنا سنواجه محمداً بقوة شديدة ...
 آخر : الرأى رأيك .. هو ما قلت .
 الأول : فليكن خالد إذن وعكرمة بن أبى جهل هما قائدا الجيش .
 (موسيقى)
 الرواية : وسار جيش الكفار حتى بلغ ذا طوى وأقام عسكره هناك ، أم محمد فقد سار بجيشه حتى بلغ عسفان ، وهناك لقيه رجل مز بنى كعب .
 (موسيقى)
 الرواية : فسأله رسول الله عن أخبار مكة .
 صوت : قد سمعوا بمسيرك فخرجوا وقد لبسوا جلود النمر ونزلوا بذى طوى يعاهدون الله لا تدخلها عليهم أبدا . وهذا خالد بن الوليد فى خيلهم قدموها إلى كراع الغميم .
 الرواية : فقال رسول الله : « يا ويح قريش لقد أهلكتهم الحرب ، ماذا عليهم لو خلوا بينى وبين سائر العرب ؟ فإن هم أصابونى كان ذلك الذى أرادوا ، وإن أظهرنى الله عليهم دخلوا فى الإسلام

- وافرين . وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة ، فما تظن قريش ؟
 فوالله لا أزال أجاهد على الذى بعثنى الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة » .
 صوت : أعناقنا فذاك يا رسول الله .
 آخر : مرنا فنحن نفاذ أمرك وتحقيق كلمتك .
 آخر : أنحارب يا رسول الله ؟
 آخر : إن شئت يا رسول الله حاربنا . إلا أن لى رأيا أتأذن لى أن أقوله .
 الرواية : قال النبى : « قله » .
 آخر : إنهم يعلمون أننا لم نخرج لحرب فنحن على غير عدة وسلاح . وإنهم - يا فداك أبى - يبذلون غاية الجهد ليشتبكوا معنا فى حرب ، فلو أننا هيأنا لهم هذه الفرصة ...
 آخر : نعم ، إنك محق لو تهيأت لهم الفرصة وانتصروا فى حربهم الظالمة هذه لراحوا يتشدقون بنصرهم بين العرب .
 الآخر : إنهم لم يرسلوا خالدا وعكرمة إلا ليبدأوا سبيلا إلى حرب هم لا يعلمون أننا لم نعد لها .
 آخر : إننا لنحمل سيوفنا وإيماننا ، فهلم بنا هلم ولن نتعب خالدا ولا عكرمة فى بدء الحرب . سنكون البادئين فإنهم هم المعتدون .
 آخر : فداك يا رسول الله ، فداك . وما الإعداد للحرب غير السيف وهو بيدنا ، وغير الإيمان وهو أرسخ فى قلوبنا من شم الجبال .
 آخر : لقد أردنا سلاما وأرادوا هم حربا ، فهلم إليها فإنما النصر من عند الله وإننا نحن .. نحن أتباع الله .
 الرواية : ولكن رسول الله رأى أنه لو خرج عن سياسة السلم التى أعد لها إلى سياسة الحرب التى يجهد الكفار على أن يريدوه عليها ،

لو فعل لأتاح لكفار قريش فرصة يشيعون بها بين العرب أن محمدا حارب في الأشهر الحرم ، وأنه حارب عند البيت الحرام وهو بعد لا يضمن النصر . فإن يكن المسلمون حوله يفيض بهم الإيمان إلا أن أبناء قريش أيضا إذا حاربوا اليوم فإنما هم يجاربون عن شرفهم أجمع تعتلج في نفوسهم أحقاد الأمس يوم هزموا عند الخندق ، وذلة اليوم في مهاجمة محمد لهم وهم في أحضان مكة ، وخشية الغد إذا دخل محمد مكة عليهم عنوة فهم إذن في هوان مقيم . قدّر عليه الصلاة والسلام هذا جميعه فأزعم على أن يظل على سلمه الذي أراده لنفسه فلا يميل إلى الحرب التي يريده عليها الكفار فهو يقول : « مَنْ رَجُلٌ يُخْرِجُ بِنَا عَنْ طَرِيقٍ غَيْرِ طَرِيقِهِمُ الَّتِي هُمْ بِهَا ؟ » .

صوت

: إني يا رسول الله أعرف طريقا .

آخر

: إنها طريق شاقة تلك التي تقصد إليها .

آخر

: أي شاق يا أبا العرب ؟ إننا أبناء صحراء لا يشق علينا طريق .

(موسيقى)

الراويّة

: وسار المسلمون في طريق يتلوى بين الشعاب ، وقد جهد المسلمون حتى بلغوا عند منقطع الوادي ، ثم مالوا منه إلى أيمنه فبلغوا ثنية المراد مهبط الحديبية من أسفل مكة . وما رأى جيش الكفار هذا حتى رجعوا إلى مكة ليدافعوا عنها إذا أراد المسلمون دخولها ، وكان النبي على ناقته القصواء فما أن بلغت الحديبية حتى بركت .

صوت

: لقد جهدت يا رسول الله ، أجهدها طول الطريق ووعورته .

الراويّة

: فقال النبي : « إنما حبسها حابس الفيل عن مكة » .

: حابس الفيل ؟

آخر

: نعم يا أخي ، حابس الفيل الذي منع أبرهة أن يهدم الكعبة . ألا تعرف أن الفيلة يومذاك لم تستطع أن تمس الكعبة بسوء على الرغم من تحريض راعيها لها .

آخر

: فذاك إذن حابس الفيل .

آخر

: إنه هو وقاء مكة وحصن الكعبة .

الراويّة

: وقال النبي « معلنا السلم » : لا تدعوني قريش إلى خطة يسألوني فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها « ... انزلوا هذا المكان .

صوت

: ولكننا يا رسول الله في مكان لا ماء ولا ري ولا هو يصلح لمقام .

الراويّة

: فأخرج عليه الصلاة والسلام سهما من كنانته وقال لأحد مرافقيه : انزل في بئر من هذه الآبار التي حولنا واضرب فيها بسهمي هذا .

صوت

: ولكنها آبار جفت يا رسول الله .

الراويّة

: فقال النبي : فانزل .

الصوت

: أمرك يا رسول الله .

الراويّة

: ونزل الرجل وضرب السهم .

أصوات

: الماء ... الماء ... الرى ... الرى ... الله أكبر ... صلى الله على محمد .

(موسيقى)

الراويّة

: واجتمع كفار قريش يتفاوضون الأمر بينهم حتى وافاهم بديل ابن ورقاء وكان يلم بجيوش المسلمين فابتدأه سائلين :

- صوت : هيه بديل .
 الصوت : فما مجيئهم ؟
 بديل : زيارة البيت وتعظيم حرمة .
 الصوت : أشهد أنا لا أرى أثر العنوة فى دخوله ، بل هم قوم يقفون من الكعبة موقف التكريم لا يدخلونها محاريين .
 بديل : كنت هناك ولقد رأى محمد حليس .
 الصوت : أكنت هناك حين أرسلنا حليس ليفاوض محمدا قادما ، فأمر بالجمال فأطلقت ليرى حليس إنها جائعة وإنها لا تنتهك حرمت مكة . وقد رأى رسولكم حليس الجمال فعاد سبيله إليكم .
 حليس : أما أخبرتكم أنه السلم ما يريد محمد ولن يجيد عنه أبدا ؟
 صوت : إنما أنت يا حليس سيد قومك ولست من قريش ولا من خالصة العرب ، فأنت لا تعلم من الأمر شيئا .
 حليس : لقد حالفتكم لأذود عن البيت الحرام ، ومذ حالفتكم لأرد عنه من جاءه معظما فمنذ اليوم لا حلف بيننا .
 صوت : أغضبت يا حليس ؟
 حليس : وكيف لا أغضب للكعبة تذودون عنها مكرميها ، وتردون القاصدين إليها ؟!
 صوت : إنه يا حليس إن دخل الكعبة اليوم زالت عن قريش السدانة والسقاية ، وتساقطت عنها أمجادها كالأوراق الجافة يساقطها الريح العاصف .
 حليس : فلا حلف بيننا .
 صوت : بل اصبر علينا يا حليس فندبر أمرنا وننظر فيه .
 بديل : لقد طال بكم التدبير والنظر ، والله لتطالعكم العرب غدا بقالة

- الصوت : تثبتوا لها . إنهم قائلون : « قريش ترد عن الكعبة الحجيج » .
 الصوت : نرسل رسولا آخر يفاوض محمدا .. نرسل إليه عروة بن مسعود الثقفى .
 عروة : لا والله لست بذاهب .
 الصوت : ولم يا عروة ؟
 عروة : أراكم تلقون رسولهم بشر مما يلقي به رسولكم ، إذا هو جاءكم بالأخبار التى لا ترضيكم .
 الصوت : إنك عندنا غير ظنين يا عروة ، ولن تجد فى لقائنا إلا الخير فاذهب إليه وسله ماذا يريد ؟
 (موسيقى)
 الصوت : هيه عروة ماذا رأيت ؟
 عروة : يا معشر قريش ، إنى جئت كسرى فى ملكه وقيصر فى ملكه والنحاشى فى ملكه ، وإنى والله ما رأيت ملكا فى قوم قط مثل محمد فى أصحابه . لا يتوضأ إلا ابتدروا وضوءه ، ولا يسقط من شعره شىء إلا أخذوه ، وإنهم لن يسلموه لشىء أبدا فانظروا رأيكم .
 الصوت : ماذا لقيت ؟
 هروة : ذهبت إلى محمد .
 هروة : يا محمد ، إن مكة أهلك ومكانك ، إن تنصفها وأهلها المقيمين بها على من جمعت من أوشاب الناس .
 الرواية : فقال أبو بكر : بل هم سادة الناس يا عروة وإن رغمت أنوف
 وة : فإذا انصرف هؤلاء عنك يا محمد ؟

- الراويّة : فقال أبو بكر : هيهات أن ننصرف عنه يا عروة ، إنما نحن ومضة من إشراقته ولحّة من رضى ربه لا ننصرف لنا عنه .
- عروة : فوالله ما أرى شيئا يبقى على الزمان ، إلا العار لاحقا بقومك من قريش إن أنت اقتحمت عليهم الكعبة اليوم .
- صوت : يدك عروة . (صوت صفعة هينة) .
- عروة : فهل تركتنا محمد فى عامك هذا ؟
- صوت : يدك عروة (صوت صفعة هينة) .
- الراويّة : وقال رسول الله : إنه لم يأت إلا لسلم يريد زيارة الكعبة ولمس أركانها .

(موسيقى)

- عروة : فحنت إليكم . أتعلمون من كان يقف إلى جوار محمد ؟
- صوت : من ؟
- عروة : المغيرة بن شعبة . وكنت إذا أمسكت بلحية محمد وأنا أحادثه ضربنى المغيرة على يدى وهو يقول : يدك عروة ، فاترك لحيه محمد .
- صوت : المغيرة بن شعبة يضرب يدك أنت ؟ يدك التى دفعت عنه ثلاث عشرة دية عن قتلى قتلهم .
- عروة : هو المغيرة . لا واللات لا كسرى ولا قيصر ولا النجاشى بملاق ما يلاقية محمد من قومه .. انظروا أمركم .
- صوت : يا رسول الله ... يا رسول الله ... لقد طالما شكونا إليك من سفهاء مكة يخرجون فى بهيم الليل ويرمون خيامنا بالحجارة . فالليلة قد خرج علينا منهم نفر كبير فأسرنا منهم أسرا وببلا .
- الراويّة : وسأل النبى : وأين الأسرى ؟

(موسيقى)

- صوت : الآن قد أسفر الشك عن اليقين .
- آخر : ماذا ؟
- الصوت : أما ترى محمدا قد أطلق أسرى مكة بعد أن وقعوا فى يده ، فمالنا يُجادل الآن ؟
- آخر : إنه السلم ما يريد .
- آخر : ماذا تريد ؟
- آخر : فلنخل له السبيل فيزور .
- آخر : فواضيّعنا لنا ، لنا بين العرب .
- آخر : بل لا والله فإننا إن أصبنا محمدا بسوء بعد أن أطلق أسراننا ، كنا بين العرب غادرين لا وفاء لنا .
- آخر : بل نمنعه .
- آخر : بل نتركه .
- آخر : بل نمنعه .
- موسيقى (تصاحب المشهد)
- الراويّة : واجتمع المسلمون حول محمد يتفاوضون الأمر حتى انتهى بهم الرأى أن يرسلوا عثمان بن عفان إلى رجال مكة رسولا يحمل إليهم رغبة محمد وصحابته فى الحج . وذهب عثمان إلى أبى سفيان .
- أبو سفيان : فيم قدمك عثمان ؟
- الراويّة : فقال عثمان : إنما جئنا لنزور البيت العتيق ولنعظم حرمتيه ولنؤدى فرض العبادة عنده وقد جئنا بالعير معنا ، فإذا نحرناها رجعنا بسلام .

- أبو سفيان : يا عثمان ، إذا شئت أن تطوف بالكعبة فطف .
 الراوية : فقال عثمان : ما كنت لأفعل حتى يطوف رسول الله .
 أبو سفيان : فأنا أقسمنا ألا يدخل محمد مكة في عامنا هذا عنوة .
 الراوية : فقال عثمان : ولكنه لا يدخل عنوة .
 أبو سفيان : فإننا أقسمنا وما دمنا ...

(موسيقى)

- صوت : لقد قتلوا عثمان .
 آخر : قتلوه ؟
 آخر : لقد قتلوا رسولنا إليهم بعد أن أطلقنا نحن أسراهم .
 آخر : قتلوا زوج بنت رسول الله .
 آخر : لا نسكت بعدها أبدا .
 آخر : في ظلال الكعبة .
 آخر : لقد لوثوا أمنها وهدموا حرمتها .
 آخر : هيهات نسكت هيهات ... لا نبرح حتى نناجز القوم .
 آخر : إلى السيوف .
 آخر : قتلوه في الشهر الحرام .
 اصوات : إلى السيوف .
 الراوية : ودعا النبي أصحابه فإذا هو حوله جواب دعوته ، وكلمته إذا قال ،
 وإرادته إن أراد ، دعاهم إلى البيعة فأنفسهم لدعوته تلييه . لييك
 رسول الله ، لييك من قلوب آمنت بك . وهل بعد الإيمان
 رضى يا رسول الله ؟ لقد أقررت منها ثائرا من الكفر فهى فى
 هدأة الإيمان . لييك لييك يمدون أيدهم إلى يديك . عزت يدك
 وأيديهم . وقد أنت يدك الثانية يا رسول الله لتكون يدك الثانية

هذه بديلا عن عثمان بن عفان الغائب عنك ... دعوت فهم
 جميعا لييك . ودعوت تحت الشجرة ... وهم فى كل مكان
 لييك ... لييك يا رسول الله . وتمت البيعة تحت الشجرة لا
 يغمد واحد منهم السيف أو يقتل ... وإنهم الراجحون يا رسول
 الله تبدلهم عليا بدنيا وخالدة بفانية ... هم الراجحون يا رسول
 الله فلييك ... لييك فى بيعة الرضوان . ونظر ربك من عليين
 فرأى الأيدى مجتمعة على يد النبى . قلوبهم هى أيديهم ،
 أرواحهم هى بيعتهم ، فيترك قوله عز قوله : « بسم الله الرحمن
 الرحيم : ﴿ لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت
 الشجرة فعلم ما فى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا
 قريبا ﴾ صدق الله العظيم » .

(أصوات فرح)

صوت : قد جاء عثمان ... قد جاء عثمان .
 الراوية : جاء عثمان ولم تعد ثمة حاجة لحرب ، ولكن هذه البيعة ظلت
 ذكرى كريمة تلوح للنبي عليه صلوات الله إليها . كرمها
 القرآن فخلدها الزمان . وسأل محمد عثمان عما يقوله القوم
 فقال : لا يقبلون ولكنهم سيفاوضونه على خطة يرضاها .

(موسيقى)

- أبو سفيان : نرسل إليه سهيل بن عمر فيوثق بيننا صلحا .
 صوت : الرأى ما تقول .
 آخر : أنؤمن بتجارتنا القادمة عن طريق المدينة ؟ و ...
 سهيل : صلحا بيننا يا محمد .

(موسيقى)

الراوية

: ويسأل النبي : وعلام الصلح ؟

سهيل

: ترحل عنا فى عامك هذا وتخرج فى العام القادم و ...

(موسيقى)

الراوية

: وقبل محمد ما يريدون فهو يدعو إليه على بن أبى طالب وسهيل

بمشهد : « ويملى النبي على على : بسم الله الرحمن الرحيم » .

سهيل

: أمسك ، لا أعرف الرحمن الرحيم بل اكتب باسمك اللهم .

الراوية

: ومن أين لهم أن يعرفوا الرحمن الرحيم ؟ ولكن هو الله جلت

أسماءه وتعددت . ويملى محمد : « باسمك اللهم . هذا ما صالح

عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو .

سهيل

: أمسك ، لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك ، ولكن اكتب

اسمك واسم أبيك .

الراوية

: إن النصر على النفس هو أروع غايات النصر . لم يثر النبي عليه

ولم يعارضه وإنما يكظم غيظه وينفذ ما يوحى إليه فهو يقول : أنا

عبد الله ورسوله لن أخالف أمره ولن يضيعنى . وأملى لرسول

الله الرسول صلح الحديبية يهادن فيه قريشا عشر سنين على أن

يرد الرسول من يمينه من قريش مسلما بغير إذن من وليه ،

ولا ترد قريش من يمينها من المسلمين ، وإنه لا جناح على من

يريد مخالفة الرسول من العرب ، ولا جناح على حليف قريش .

وأن يرجع محمد فى عامه هذا ويعود بعد فى العام الذى يليه

فيدخل ومن معه إلى مكة ويقيم بها ثلاثة يحملون من السلاح

السيوف فى أعمادها . وما أن تم الصلح حتى :

صوت

: لييك يا رسول الله إنى أشهدك أنى مسلم .

سهيل

: من ولدى أبو جندل ... ماذا تريد ؟

أبو جندل

: أشهد ألا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله . إليك محمد إليك .

سهيل

: بل أقصر أيها الأحمق وارجع .

أبو جندل

: (صائحا) يا معشر المسلمين ، أتردوننى إلى المشركين يفتنوننى

فى دينى !؟

سهيل

: أقصر لعنتك الآلهة .

أبو جندل

: لعنت آهنتكم ... أتضربنى وترجرنى أن أقول ربى الله ؟ .. إلى

محمدًا إلى .

الراوية

: ويرى محمد هذا المسلم الجديد ، ولكنه كان قد ارتضى عهدا

فهو لا ينقضه ويقول : « يا أبا جندل ، اصبر واحتسب . فإن

الله جاعل لك ولن معك من المستضعفين مخرجا . وإنا قد عقدنا

بيننا وبين القوم صلحا وأعطيناهم على ذلك وأعطيناهم عهد الله

. وإنا لا نغدر بهم .

أبو جندل

: (إلى محمد إلى ...) (يضعف الصوت) إلى محمد إلى ...

(ويزداد ضعف الصوت) إلى محمد .. إلى محمد ...

(موسيقى)

الراوية

: وقام الرسول مع أصحابه ، ثم صلى فاطمأن قلبه إلى أن

الصواب هو ما فعل . وهل يصدر عن الهدى .. ثم قام إلى بعيره

فحمره ثم جلس فحلق رأسه إيذانا بالعمرة وحلق الناس معه

وأتموا العمرة وقاموا يتهيأون للمسير .

صوت

: غير راض أنا ، شهد الله عن هذا الصلح .

آخر

: يا أخى ، اصبر فالسنون قادمة والخير معقود بها . ومهما تكن

الأمور أزمة فلا بد لها يوما من فرج .

الأول

: أشهد الله إنى غير راض .

الثانى : بل ارض يا اخى ، فلقد ربحنا والله أن ننج كل عام فلا يتعرض
أحد لنا بشر ، وربحنا أن نخالف من العرب من نشاء ولا تتعرض
قريش لحلفائها . والأيام مخفيات عنك من الخير ما لا تعلم .
الأول : انظر ، لقد نزل الوحي على النبي .

(موسيقى)

الراوية : وأوحى الله إلى رسوله سورة الفتح « بسم الله الرحمن
الرحيم » : ﴿ إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم
من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا
مستقيما ﴾ صدق الله العظيم .

الأول : الله أكبر ... إنه النصر ... إنه الفتح
الثانى : إى وربك إنه الفتح المبين ...

* * * * *

الفصل الثامن

« عودة وغفران »

تحفت الموسيقى وتظل ملازمة للمشهد

ناعسة : حياك الله يا حارث ، فأنت نعم الزوج .
حارث : بل حياك أنت يا ناعسة .. فلقد والله جعلت حياتي متعة .
ناعسة : لقد مهد الحب للزواج .
حارث : وامتد الحب بعد الزواج يا ناعسة ...
ناعسة : طالما خشيت والله أن يكون الزواج بيننا هو نهاية حينا ... ولكن
حياك الله حارث فقد بقيت على حبك الذى كان .
حارث : وبقيت أنت على حبك ناعسة .
ناعسة : فظللنا وكأننا ما نزال هناك نلهو بضياء القمر ، وهو يلقي إلينا
بخيوطه ، فإذا هى حولنا مضاءة نمد إليها أيدينا نحاول أن نمسكها
فتنضم أصابعنا على النور فإذا هى فضاء . كنا نرى ضوء القمر ولا
نطيق أن نمسكه ، كنا نرى فيه حينا الذى تجسم يكاد يتجسد أمام
أعيننا ، ثم نحن لا نعرف من أين ينبت .
حارث : هناك على الرملات الحبيبة ، على سفوح الكثبان كنا حبا ... لم
تكن أجسامنا وأنفاسنا ولعبنا وجدنا إلا حبا . كنا الحب أحسه
الناس معنى وتجسد فينا كلينا حبا .
ناعسة : فإذا أجسامنا تكاد تشف فتدوب فى ضياء القمر فتصبح ضياء مع
الضياء ، أو نسيم مع النسيم .
حارث : ما أحلى الأمسيات .

- ناعسة : وما أحلى الذكريات .
 حارث : رعاك الله ناعسة ، ذكرت الخير عنى ولم تذكرى فقرا شقيت با
 فى حياتك إلى جوارى .
 ناعسة : حذار يا حارث أن تعود إلى هذا الحديث . إنما الفقر هو الحاجة ،
 أما ونحن نستر بقليل مالنا حياء وجوهنا ، أما ونحن لا نطلب من
 أحد شيئا فنحن والحمد لله فى وافر من الغنى .
 حارث : لك الله يا ناعسة . وأين منك هذا الغنى ؟ أحسبتى غبيا ؟
 ناعسة : الغنى يا حارث فى أننا نجد قوت يومنا ، ونجد الملبس الذى يسترنا .
 حارث : أى قوت وأى ملبس ؟ وأنت الفتاة فى ربيع الحياة ، وأنا الشاب فى
 نضرة الشباب ، إنما نريد الأكل الوفير ولا نصيب إلا القليل . ونريد
 الملبس الفاخر فلا ننال إلا الحقير . إنه البؤس يا ناعسة .
 ناعسة : بل هو النعيم . وما أخشى والله إلا قلقك هذا وعدم رضاك ،
 وتبرمك بحياتنا وهى أنها ما تكون .
 حارث : إنما الهناءة فى الغنى يا ناعسة .
 ناعسة : بل فى الحب يا حارث .
 حارث : لا يفارق ضوء القمر خيالك .
 ناعسة : ولا يفارق ضوء الدينار خيالك .
 حارث : الدينار حقيقة .
 ناعسة : والقمر حقيقة .
 حارث : الدينار حقيقة فى الأرض ، ونحن فى الأرض .
 ناعسة : والقمر حقيقة فى السماء ، ونحن إلى السماء .
 حارث : خيال .
 ناعسة : لأنى أخشى عليك الحقيقة .
 حارث : تهريين منها .
 ناعسة : بل أتجاهلها مادام علمى بها لا يفيد .
 حارث : أما أنا فأعرفها وأحسها وألمسها ، وأثور عليها وأسعى إلى تغييرها ،
 لا بد من الغنى .
 ناعسة : أما يكفيك الستر مع الحب ؟
 حارث : بل لا بد من الغنى .
 (موسيقى تنتهى بطرق على الباب)
 نائلة : من يطرق الباب ؟
 حارث : أنا
 نائلة : (وهى تفتح الباب) ومن أنت ؟
 حارث : حارث .
 نائلة : وما تريد يا حارث ؟
 حارث : أحسن كل عمل ولا أجد عملا . وقيل إنكم تطلبون رجلا يقوم
 على أعمالكم فى الزراعة .
 نائلة : ومن أنباك ؟
 حارث : صديقى هشام الخضرمى .
 نائلة : فانتظر حتى أدعو أخى .
 حارث : إنى منتظر .
 (جملة موسيقية)
 أسامة : ادخل يا حارث .
 حارث : السلام عليك يا سيدى ورحمة الله .
 أسامة : أبلغتنى أختى أنك تريد أن تعمل لنا ؟
 حارث : إى والله .

أسامة : وهل عملت قبل اليوم فى مثل هذا ؟

(موسيقى)

حارث : شكرا يا هشام .

هشام : خيرا يا حارث .

حارث : لقد قبل سيدى أسامة أن أعمل له وسيجزل لى المكافأة . وقد طلب إلى أن أذهب الساعة إلى ضياعه .

هشام : هنيئا يا حارث .. هنيئا لك .

حارث : فبريك هلا قصدت إلى زوجتى ناعسة ، وأنبأتها أنى قد عملت .

هشام : أفعل يا حارث .

حارث : وقل لها ...

(موسيقى)

هشام : فهنيئا لك يا ناعسة .

ناعسة : (فى صوت لا يبين فيه الفرح) شكر الله لك يا هشام .

هشام : ولقد أنبأتى أنه سيتأخر عنك يومين أو ثلاثة أيام .

ناعسة : وأين يعمل ؟

هشام : عند أسامة بن يعقوب .

ناعسة : ذلك الغنى الواسع الغنى ؟

هشام : نعم .

ناعسة : ولكن لأسامة ضياعاً كثيرة وأموالاً ضخمة . أيستطيع الحارث أن يقوم بهذا العمل جميعه ؟

هشام : يستطيع لاشك .

ناعسة : وأين بيت أسامة ؟

هشام : بجانب دكاني .

ناعسة : ولكن ألم يستطع الحارث أن يأتى إلى لينبئنى هو ؟

هشام : لقد طلب إلى أن أفعل هذا عنه ، لأن أسامة صحبه إلى الضياع من فور

ناعسة : شكرا هشام .

هشام : لا شكر بيننا يا ناعسة . أنت تعرفين مكانك منى .

ناعسة : (فى جد) شكرا هشام .

(موسيقى تنتهى بطرق على الباب)

أسامة : من يطرق الباب ؟

ناعسة : أنا .

أسامة : (وهو يفتح الباب فى دهشة وإعجاب وترحيب) مرحبا أيا تكونين ومهما تكونى .

ناعسة : (فى جد) إننى زوجة الحارث .

أسامة : زوجة من ؟

ناعسة : زوجة الحارث .

أسامة : أى حارث سعيد هذا الذى أنت زوجته ؟

ناعسة : الحارث بن زياد الذى يعمل لكم .

أسامة : هذا الحارث ... أنت بكل جمالك هذا زوجة الحارث الذى يعمل عندنا .

ناعسة : (فى صرامة) ويشرفنى يا سيدى أن أكون زوجته ؟

أسامة : (فى سخرية) ويشرفك أن تكونى ؟

ناعسة : (فى صرامة) سمعت يا سيدى أنك غنى . حسبت أن المال يهذب النفوس .

أسامة : (فى جد) سيدتى ، إنه مهما تكن النفوس مهذبة ، فإنها لا تطيق

- أن ترى هذا الجمال الآسر ولا تعرب عن إعجابها .
- ناعسة : إنك فارغ أيها السيد ، تحسب أن تسخر من الناس ولست بمن تقبل أن يسخر منها أو من زوجها أحد مهما يكن هذا الأحد أنت .
- أسامة : (فى جلد) أنا لم أسخر منك أو من زوجك أيها السيدة . ولكننى أعجب أن يتزوج هذا الجمال كله (فى سخرية) حارث مجرد حارث .
- ناعسة : إن الحارث يا سيدى رجل لا يعرض لنساء الآخرين .. ولا يسخر من فقر الرجال ، ولا يزهى بماله كما تزهى أنت .. لقد وهب الله لك المال ليتمتحنك به ، فويل يا سيدى فما رأيت رجلا أساء استعمال ماله كما تفعل .
- أسامة : وماذا فعلت ؟
- ناعسة : جعلت منه زهوا وكان عليك أن تجعل منه أخلاقا ومروءة ، وجعلت من الفقر سخرية وكان عليك أن تجعل الفقر مجالا لإظهار كرمك .
- أسامة : لو شئت والله وهبت لك من المال فوق ما تطيقين حمله .
- ناعسة : خست لست بذاك .
- أسامة : ألى هذا الكرم ؟
- ناعسة : فلمن إن لم يكن لك ؟
- (موسيقى)
- نائلة : خيرا .. من تلك التى تحادثها فتطيل الحديث .
- ناعسة : إنه يا سيدتى .
- نائلة : ومن أنت يا أخت ؟
- ناعسة : أنا زوجة الحارث الذى يعمل لكم جئت أسأل عنه ، فقد أنبأنى أنه

- سيغيب يومين فغاب أسبوعا . قصدت إلى صديقه هشام أسأله عنه فلم أحده فجئت إليكم فلقينى هذا الرجل .
- نائلة : أما تعرفين هذا الرجل ؟
- ناعسة : يقول إنه أسامة وما أظنه أسامة .
- نائلة : ولم ؟
- ناعسة : فيه من خلق العبيد وما فيه من خلق الأحرار .
- نائلة : لك الله أسامة ، لقد أسأت إلى ضيفة فعذرا يا أخت .. اذهبي أنت إلى منزلك وسأرسل أنا إلى الحارث .. لا عليك يا أخت .. لا عليك !
- ناعسة : شكر الله لك يا سيدتى ، شكر الله لك .
- (موسيقى)
- الحارث : بشراك ناعسة ، أصبحت الغنى الوافر والحظ السعيد . هاك هاك بعض مالى . بشراك ناعسة .
- ناعسة : بل لا بشرى : فإنك تتركنى الأيام الطوال والبيت وحيد ، وأخشى أن يدخل لص يسرق المال أو يسرق ..
- الحارث : أو يسرق ماذا ؟
- ناعسة : أثاث المنزل .
- الحارث : لا عليك ، فنحن فى موسم المحصول فإذا انتهى الموسم فسأكون إلى جوارك ليل نهار .
- ناعسة : أخشى أن يطول موسم المحصول إلى آخر العمر يا حارث .
- الحارث : ما هذا القول يا ناعسة ؟
- ناعسة : أخاف يا حارث .
- الحارث : لا عليك ناعسة .. لا عليك .. أتركك بخير . (موسيقى فيها شيء

- من الحزن تنتهي بطرق على الباب ويفتح الباب) .
 صوت : السلام عليكم (يبين على الصوت كأنه يحمل حملا كبيرا) .
 ناعسة : وعليك السلام ، ماذا تريد ؟
 الصوت : (وهو لا يزال مجهدا بحمله) أليس هذا بيت الحارث بن يزيد ؟
 ناعسة : إنه بيته .. فماذا تريد ؟
 الصوت : أما ترين أنفاسي المتلاحقة ؟ هلا تركنتي أنزل حملي ثم سألت ما أردت أن تسألي ؟
 ناعسة : بل والله لن تترك شيئا حتى أعرف من أنت وماذا تحمل ؟
 الصوت : أما أنا فخادم لن يفيد اسمي فى شىء ، وإن أردت أن تعرفى فهو "رفيق" وأنا خادم سيدي أسامة بن يعقوب .
 ناعسة : فوالله لن تترك حملك هذا ، والله لن تدخل هذا البيت ، أنت حمال .. امض أيها الحمال امض .
 رفيف : بل انتظري ألتقط أنفاسي وأحادثك . أنت لا تعرفين ما أحمل .. إنه الحرير والدمقس والشفائف واللفائف والمخمرات و ...
 ناعسة : امض يا حامل الإثم ، امض لا أرانى الله وجهك ، امض .
 (صوت باب يصفق ويعقبه بكاء من ناعسة يتخلله طرق على الباب مستمر مدة ، ثم ينقطع الطرق ويستمر بكاء ناعسة الذى ينتهى ببكاء من أسامة) .
 أسامة : أحبها .. أحبها .
 رفيف : لا عليك يا سيدي .. هون عليك .
 أسامة : أحبها يا رفيف .. أحبها .
 رفيف : أشهد يا سيدي وقد خدمتك السنين الطوال ، أن واحدة ممن عرفت لم تكن على مثل هذه العفة أبدا .

- أسامة : ولكنى يا رفيف أحبها أكثر ممن عرفتهن جميعا .. ماذا أفعل يا رفيف أما من فكرة ؟
 رفيف : لا يا سيدي .. ليس إلى المرأة الشريفة طريق غير الزواج يا سيدي .
 أسامة : (فرحا) الزواج .. هو الزواج .. أريد الزواج بها .
 رفيف : (فى سخريه) إن المرأة لا تتزوج من رجلين .
 أسامة : أعرف ذلك أيها المتذاكى .
 رفيف : تعرفه طبعاً ولكنك تقول أنت تريد الزواج بها .
 أسامة : نعم .. (هامسا) نريد أن نجعل زوجها يطلقها .
 أسامة : (مرددا فى همس) زوجها يطلقها !؟
 أسامة : أجل .. ألا تعرف وسيلة ؟
 رفيف : والله يا مولاي .. والله يا مولاي .. هناك وسيلة .
 (موسيقى)
 الحارث : هيه رفيف .. أما ترد لماذا أرسل إلى سيدي أسامة ؟
 رفيف : اخفض صوتك .
 الحارث : (هامسا) ماذا ؟
 رفيف : إن أسامة لا يعرف أنك عدت .
 الحارث : ماذا ؟
 رفيف : اتبعنى نذهب إلى مكان أمين .
 (جملة موسيقية)
 الحارث : ماذا بك رفيف ؟
 رفيف : إن الأمر خطير يا حارث .. لقد كشفت أمرا عجيبا .
 الحارث : ماذا كشفت ؟ ألا قل يا أخى فقد أضحرتنى همسا .
 رفيف : سيدتى نائلة .

- الحارث : ماها؟ أهى مريضة... ماها؟
 رفيق : مريضة بداء عجيب... مريضة بحبك .
 الحارث : أجننت... أتجننى؟
 رفيق : حب يقيمها الليل الطويل شاردة الدهن ، والنهار الطويل ذاهلة الخاطر .
 الحارث : أجننت!؟
 رفيق : بل الأدهى من ذلك أن أخاها قد عرف الأمر جميعه .
 الحارث : عرف ماذا...؟
 رفيق : عرف حبها لك وأوشك أن يقتلها ، ولكنى هدأت مضطربه .
 الحارث : ويلي ، فهل آن لى أن أترك العمل الآن؟
 رفيق : يا لك من أبله ، لقد ظللت به أناقشه حتى قبل أن تخطب إليه أخته فيزوجك لها .
 الحارث : من..؟ أنا.. أجننت؟ أنا أتزوج هذا الغنى الواسع؟! أنا... أنا الفقير أنا!؟
 رفيق : نعم أنت .. والعجبية أن أخاها قبل ذلك ، فقد هددته إن لم تتزوج منك أن تقتل نفسها ويكون أمرها فضيحة بين الناس .
 الحارث : هل جننت يا رفيق؟
 رفيق : وقد أرسلت إليك دون أن يعرف سيدى أسامة . ولم يبق الآن إلا أن تتقدم من سيدى أسامة تطلب إليه أن يزوجك أخته . وحادر أن تخبره بما قلته لك الآن ، حذار أن تخبره .
 (موسيقى)
 الحارث : (مترددا) سيدى ...
 أسامة : ماذا يا حارث؟

- الحارث : أمنية يا سيدى طالما داعبت خيالى وطالما رددتها عن تفكيرى ، ولكنها تستبد بى كل يوم فلا أطيق منها فرارا .
 أسامة : ما هى يا حارث؟ .. قل .. فلقد واللّه عرفت فيك الفتى المخلص فى عمله ، الأمين فى واجبه .
 الحارث : يا سيدى ، أنا أعرف مكانك منى ومكانى منك... وأعرف يا سيدى أنك أغنيتنى بعد فقر وأكرمتنى بعد هوان . فإن أقدم إليك أطلب منك أمرا فما هو إلا أمل يدعونى إلى التعلق به ، فضل سبق ومكرمة سلفت ويد أسبغت .
 أسامة : لقد أطلت حارث وما أحسب مطلبك إلا جليلا .
 الحارث : وإنه الجليل سيدى . أطلب إليك أن تزوجنى أحتك سيدتى نائلة ...
 أسامة : يا أحمى إنما أنت خاطب ، والخاطب لا يحتاج إلى هذه المقدمة الطويلة . فإنك بخطبتك تعلن حسن رأيك فى وفى أختى .
 الحارث : خشيت يا سيدى أن تحسب أنما أخطبها لغناها وأنى أتعلق بالغنى وحده .
 أسامة : وهب أنك كذلك؟ .. اسمع يا حارث .. إننى لا أعارض فى هذا الزواج ، ولكننى لا بد لى أن أسأل أختى .
 الحارث : ألا تعارض أنت يا سيدى .. ألا تعارض؟
 أسامة : إذا رضيت هى بك فلماذا أعارض أنا؟ الحارث (فى دهشة) إذن فقد صدق ...
 أسامة (مقاطعا فى سرعة) من ذلك الذى صدق؟
 الحارث : ظنى... صدق ظنى يا مولاي .
 أسامة : إذا كان الغد .. فتعال تعرف الجواب .

(موسيقى)

- الحارث : سيدى .
أسامة : هنيئا يا حارث .
الحارث : أحقا يا سيدى .. يا صهرى .
أسامة : إلا أن لها شرطا واحدا .
الحارث : فلتقله يا سيدى .
أسامة : ألم تحدسه يا حارث .. ألم تعرف ما هو ؟
الحارث : (مترددا) لا لم أحدسه .
أسامة : إن أختى نائلة فتاة فى ربيع العمر ، ولا تحب أن تتزوج من رجل له زوجة فى بيته .
الحارث : (فى تردد) وماذا تريد أختك يا سيدى ؟ .. هه .. ماذا تريد ؟
أسامة : طلق زوجتك تقبلك نائلة زوجا .
الحارث : أطلق زوجتى ؟!
أسامة : تتزوج من نائلة .
الحارث : (مندفعاً) فزوجتى .. (يسكت)
أسامة : إذن فأنت لا تحب نائلة .
الحارث : (فى ألم وحزن) فزوجتى ناعسة منذ اليوم طالق .
أسامة : فاكذب الطلاق ... ولا يشغلك مؤخر الصداق فهى هدية عرسك .. (ضاحكا ضحكة) هديتى فى زواجك من أختى نائلة . (ضحكة كبيرة)
(موسيقى)
أسامة : إننى أخطبك إلى نفسى يا ناعسة .
ناعسة : مالى إلى الزواج رغبة يا سيدى .

- أسامة : أى عيب تربنه فىّ يا ناعسة ؟
ناعسة : أنا لا أراك يا سيدى .. أنت دائما محتبى وراء أموالك . إنك شىء تجعل أموالك أهم شىء فىك ، ولو جعلت إنسانيتك أهم شىء فىك لكنت خيرا من ذلك .
أسامة : أنا لا أفهم عنك شيئا .
ناعسة : ذلك أن الذهب معدن صلب جامد بارد ، وهو يا سيدى يغلف قلبك وعقلك ، ولو أنك يا سيدى أزحتة عن فهمك وشعورك وعشت حياتك ومالك فى يمينك سلاح للفقير لا سلاح عليه ، وقوة للضعيف لا قوة للشر ، لو أنك فعلت لأحسست متعة الحياة ، بل أحسست متعة الغنى الذى تتمتع به .
أسامة : إننى أحس متعة الغنى يا ناعسة .
ناعسة : هيهات ... ليست متعة الغنى فى المرأة المشتراة ، ولا فى القصور والحريير وهذا الفراغ . إن متعة المال تحسها - إن كنت تحس - فى دمعة المسكين الذى تدفع عنه الذلة ، وفى شكر المحتاج الذى رفعت عنه حاجته ، وفى إعزاز كريم ذل أو غنى افتقر أو خير أثم .
أسامة : إننى أخطبك إلى نفسك يا ناعسة ، فما هذا الحديث ؟
ناعسة : سيدى أنا لا أتزوج جمادا ، وأنت جماد .
أسامة : أنا جماد ؟
ناعسة : وهل الذهب إلا جماد ؟
هشام : (من الخارج ويصاحب صوته طرق على الباب) افتحى يا ناعسة .
ناعسة : (وهى تفتح الباب) مرحبا هشام .
هشام : من .. سيدى أسامة .. أنت هنا ؟

- قد تركت عند زوجتى (ويستدرك بعدها ويميل صوته إلى البكاء) زوجتك ناعسة بعض المال .. فهلا طلبته لى منها ؟
- هشام : بل اذهب أنت إليها واطلبه .
- الحارث : أتقصد أن أذهب أنا حقا يا هشام ؟
- هشام : ولم لا ؟ .. إنك أخى منذ الطفولة الأولى ولا تزال أخى .. اذهب حارث إليها واطلب مالك بارك الله لك فيه . اذهب أخى .
- (موسيقى تصاحب المشهد)
- الحارث : سلاما يا ناعسة .
- ناعسة : (فى بعض جفاء) سلاما يا حارث .
- الحارث : تركت عندك بعض المال .
- ناعسة : (فى سخيرية ناعمة) لا تزال تجرى وراء المال يا حارث ؟
- الحارث : بل زهدته يشهد الله .
- ناعسة : بل هأتذا تغيب الشهر ولا تعود حين تعود إلا لتطالب بمالك .
- الحارث : كان لابد لى أن أخلق للمجىء عذرا . ناعسة .. ناعسة ، رفقا .
- ناعسة : فهل رفقت بى أنت وأنت تطلقنى ؟
- الحارث : إن أكن أخطأت ففى هواك فسحة من العفو .
- ناعسة : إنما الهوى خيال .
- الحارث : بل حقيقة .
- ناعسة : بل الدينار هو الحقيقة .
- الحارث : إنه الهوى يا ناعسة فرفقا .. إنه الهوى (يبكى) .
- ناعسة : (فى صوت باك) أتبكى شيئا أنت من فعلته ؟ .. لن يفيدنا البكاء شيئا يا حارث ... لن يفيدنا فى شيء .
- الحارث : (باكيا) حسبى الله ونعم الوكيل ...

- أسامة : مرحبا هشام .
- هشام : ناعسة جئت أخطبك لنفسى .
- ناعسة : وإنى قبلت يا هشام .
- هشام : فمتى الزواج ؟
- ناعسة : متى تريد ؟
- هشام : غدا .
- ناعسة : غدا .
- (موسيقى)
- الحارث : أنجز حر ما وعد يا سيدى أسامة ... لقد ماطلتني الشهور الطوال وفرضت علىّ أن أنتظر حتى توفى امرأتى عدتها ، وفرضت علىّ ألا أعود من الضياع أبدا ، وألزمتنى مكاني القاصى هناك ثلاثة أشهر .. فأبجز حر ما وعد يا سيدى .
- أسامة : أى حر وأى وعد ؟
- الحارث : أن أتزوج من أختك نائلة .
- أسامة : من أختى ؟ أختى أنا .. هل جنتت ؟
- الحارث : سيدى !
- أسامة : أنت منذ اليوم مفصول عن عملك .. لا مكان لك هنا أيها المجنون .
- (موسيقى)
- الحارث : سلام يا هشام .
- هشام : مرحبا حارث ... مرت شهور طويلة لم أرك ؟
- الحارث : أو تحب أن ترانى يا هشام ؟
- هشام : ولم لا ؟
- الحارث : نعم .. ولم لا ؟ إننى يا هشام قد صرت إلى ضيق من المال ، وكنت

هشام : ابك يا حارث .. وابك أيضا ولا تنقطع عن البكاء ، لعلك تغسل
عن نفسك ألمها .

الحارث : هشام .

هشام : ابك فقد تجنيت ... وما أصدق دمعة الجاني .

الحارث : رحماك هشام .

هشام : فوالله ما رحمتك إلا هشام .

الحارث : أحقا هشام ؟

هشام : أنت طالق يا ناعسة .. أنت طالق طلاقا بائنا .. تزوجتها من أجل
أخى وأحسست جيبها لك فجعلت من زواجى بها أخوة طاهرة .
فأنت منذ اليوم طالق فاصفحى عن حارث .

ناعسة : رعاك الله يا هشام .. وأنا صافحة .. عفوت يا حارث .. فما
طريقك منذ اليوم ؟ .. أهو القمر أم الدينار ؟

الحارث : (فى فرح) إلى القمر يا ناعسة .. طريقا إلى القمر .

ناعسة : إلى السماء يا حارث .. طريقا إلى السماء .

* * * * *

الفصل التاسع

« نبل وخيانة »

(موسيقى) :

المذيع : إبراهيم بن المهدي أخو الرشيد .. شاعر رقيق ، ولكن شهرته بالعزف
والغناء كانت أبعد مدى ... لما تولى الخلافة ابن أخيه المأمون وخرج
عليه ولم يعترف له بها وادعى هو الخلافة لنفسه ... وأقام بالرى
يسكب على نفسه صفات الخلافة مدة سنة وتزيد . لم يشأ المأمون
خلالها أن يأخذه بأسباب الشدة ، فلما رأى أنه لا ينتهى ، قصد إليه
فى جيش لم يصبر عليه إبراهيم ، وترك كرسى الخلافة وخرج بيتغى
من قصاص المأمون هربا ... إن ابن المهدي لفى حيرة من أمره ليس
يدرى أين يولى وجهه ؟ .. ها هو ذا يقطع طرق الرى مستخفيا
لا يتبعه من خاصته غير سميره الأمين هشام ، لقد أعتيها المطاردة
واشتدت بهما الظلمة .

(موسيقى)

ابن المهدي : مر اليوم يا هشام .. لا نستطيع أن نصل إلى المأمون . إن الساعة
لطويلة على الخليفة الهارب .. فما خطبك وقد مرت هذه
الساعات ؟

هشام : الله فى عون مولاي .. إلى أين يا ترى يقودنا الخوف .. إنها نعم
الملجأ .

هشام : أتظن ذلك يا مولاي ؟

ابن المهدي : أظن ! .. بل هو الوثوق بعينه .. إنها آمن على من نفسى .

هشام : أمرك .

ابن المهدي : ولكن أتظن الطريق إليها أمينا ؟

هشام : والله يا مولاي لا أدري . إن الجائزة التي وعد بها المأمون لمن يعثر عليك جائزة مغرية .

ابن المهدي : نعم .. مائة ألف درهم .. وإن لأعوان كثيرة من أغنياء هذه المدينة يتمنون لو حصلوا عليها . فما ظنك بالجند وكلهم فقير ؟

هشام : أخاف يا مولاي .

(تسمع حوافر الخيل من بعيد تقترب رويدا رويدا)

ابن المهدي : ما هذا ... ادخل في هذا الطريق يا هشام . إن جماعة من الجند قاصدة إلينا .

هشام : وى : إن الطريق مقفل يا مولاي .

ابن المهدي : وما نفعل ؟ أنسلم ؟ اقتحم .

هشام : إنه حائط .

ابن المهدي : انفذ دونه .

هشام : إنه سد منيع يا مولاي .

ابن المهدي : حسبي الله ونعم الوكيل .. رحماك يا ابن الأخ .. رحما .. يا مأمون . الله للزوجة والأولاد ، حسبنا الله .

هشام : بعض الأمل يا مولاي ، إن الجند لن تفتن إلينا إلا بعد برهة نكون فيها قد دبرنا أمرنا .

(موسيقى)

المدبغ : في بيتها . عاتكة تجلس إلى صاحبها . فيما يدور الحديث . ومن

ذلك المسكين الذي ألقى به بين لسانيهما يتناولانه ؟ من ذلك

الذي ألقى على وجهيهما كل هذا الجمد وتلك الصرامة وذلك

التممر ؟ لنلق بأذاننا وحذار حذار أن تصل إلينا العيون .

هاتفى على سيدى إبراهيم . ترى أين استقر به المكان الآن ؟ إنى لأعلمه رقيق العاطفة حاد المزاج يجب أن يرى كل شىء مهيبا لراحته .. ويجب أن يرى كل إنسان مقبلا على رحابه ... لهفى عليه الساعة ، لا شىء مهيبا له ولا رحاب له يقبل عليه .

دائما دائما لفظان لاسم واحد ... إبراهيم وابن المهدي ... أصدق ذلك أم تهويش ؟

بل هو الصدق .. الجائزة كبيرة يا رائقة ، وليس فى الناس أمين . ألا أخاف ؟

ما زال بالناس بعض الخلق .

أى خلق ؟ لقد أصبح الشرف من كلمات التاريخ .

الفضل فى ذلك لك يا عاتكة ، إن لك على العبث بالشرف قدرة تعز على الشيطان .

أمزاحا والأمير شارد والخطب محقق والحال على ما ترين ؟

مزاح أى مزاح تقصدين ؟ فوالله ما قلت غير الجد .

أليس مولاي من أخاف عليه ؟

بل هو فوق ذلك ، هو من مد لك أسباب الحياة .

ألا أغضب إذن ؟

تغضبين نعم ، ولكن حين تعلمين أنه سمح لغيرك أن يشى به إن كان قد وشى به .

أمقت ذلك يا رائقة ؟

بل ولاء .

لى ؟

- رائقة : للأمير .
 عاتكة : فهى الغيرة إذن .
 رائقة : منك ؟
 عاتكة : ولم لا . ألسنت امرأة ؟
 رائقة : أما أنا فامرأة نعم ، وأما أنت .
 عاتكة : فماذا (فى غضب) ؟
 رائقة : فالشيطان .
 عاتكة : نعم هو ما حذرت ، إنه المقت والغيرة . والله ما جئت إلا متشفية لا تحمل غير الشر .
 رائقة : إنه يا أخت لا يتشفى فى ميت ، لقد عدت الخير .
 عاتكة : شكرا شكرا ألف شكر .
 رائقة : عفوا ... ألف عفوا . وفرى عليك الحيلة فى طردى ، وفريها علي تنفك حين توقعين الأمير بالطيب ؟
 عاتكة : كاد الحلم أن يخرج من يدي .. اخرجى رائقة أنا لا أطيق أن أرى الكره مجسما أمامى فى متزلى ، اخرجى بغير عودة .
 رائقة : عودة ولم العودة ؟ ... ولكن بربك إذا ظفرت به فما أظنه إلا آتيا إليك ، فاذكرى ثورتك بى واتقى الله فى نفسك مرة ... اذكرى أن فى العالم شيئا يسمى الشرف ... قلته الآن على غير معرفة فاعرفيه مرة .. مرة واحدة .
 عاتكة : إلى الخارج رائقة وأسرعى .
 رائقة : لا عليك عاتكة فأنا خارجة . سلاما ولا تنسى .
 (ضحكة تكملها موسيقى)
 عاتكة : مولاي .. لقد أمضتني الفرقة وأباتني الانتظار على فراش

- لا يهدأ ... إنه النار الآخذة يا مولاي .
 ابن المهدي : أراح الله مضجعك يا عاتكة .
 عاتكة : بيتك يا مولاي لم كل هذا الغياب يا مولاي ؟ إن لم تذكر جاريتك اليوم فمتى ؟
 ابن المهدي : اليوم وكل يوم .. لست بالجارية عاتكة ولكنك الأخت والملجأ .
 عاتكة : أهلا بالأمين وهشام ، أهلا ما أظنكما إلا لاقيتما من يومكما هذا تعباً ؟ فهلم إلى الراحة والهدوء .
 ابن المهدي : نعم هلم إلى الراحة والهدوء . ألا يأتي أحد لزيارتك ؟
 عاتكة : لا تخش شيئا يا مولاي ولا أحد .. فقد أذعت أنى ذاهبة فى سفر فلن يخل بهدوتك مزعج . أهلا مولاي أهلا .
 ابن المهدي : أجل عاتكة لقد كنت أنتظر منك هذا وفوق هذا ، وكنت أخشى على رأسك الجميل أن يهلك ، هذا أوان الشدة فاشتدى معى ، والله من فوقنا المعين .
 عاتكة : غبت عنى فأنا فى خشية دائمة وقلق مبيد . خبرنى يا مولاي ماذا فعلت فى يومك وليلتك ؟ إن الرجال لا تتخذ ملابس إلا عند الشدائد ، وها قد لبست وصاحبك هشام ثياب النساء . لا ضير عليكما فأنتما لباس لكما . فذاك نفسى يا مولاي لقد لاقيتما نصبا .
 ابن المهدي : وأى نصب يا عاتكة ؟ لعلك تريدین أن تعلمى لماذا لبست وصاحبى ملابس النساء ؟
 ابن المهدي : إى والله يا مولاي .
 ابن المهدي : إليك ما كان ... دهمتنا الشرطة وكادوا يلحقوا بنا وكلهم يعرفنى ، والجائزة مغرية فرأينا بابا (صوت حوافر الخيل فى الظلام)

هشام : مولاي إني أرى بابا .. مازال ينفذ من خلاله النور .. نظرقه والله
معنا (يطرق الباب) ..

الصوت : (من الداخل) من يطرق الباب ؟

(صوت وقع حوافر الخيل أثناء هذا الحديث)

هشام : غريبان في ضيق ، هل للضيف مكان ؟

الصوت : (وهو يفتح الباب) مكان رحيب .. مرحبا بالأضياف .. أهلا ..
(يقفل الباب)

(وقع الحوافر يعلو ثم يخفت ممتدا)

هشام : مكان رحيب حقا .. رحيب بكرمك يا أبا العرب .

الرجل : أنا وحدي في البيت لا أنيس ولا سمير .

هشام : غريبان .. نحن من الكوفة نزلنا المدينة الساعة وضرينا في طرفها
نطلب خاننا يضمننا ليلتنا ، فاشتبهت علينا المسالك وضلنا السبل ..
وصلنا دارك وقد أخذ منا التعب مأخذه جميعا ، فقلنا نظرق الباب
ولن يخلو البيت من كريم .. فلم يخل .

الرجل : أهلا بكما ليس والله كرما ما لا قيمته ، ولكنه الأناية وحب
الذات .. فأنا وحيد ولا أنام من الليل إلا أقله ، فهو عبء ثقيل
لا أعرف كيف أقطعه .

هشام : نعاونك على قطعه إن شاء الله يا أبا العرب .

الرجل : ولكن ترى أتأذن لي أن أغيب عنكما بعض الساعة . أقصد السوق
وأعود فلا أعوق إلا قليلا .

ابن المهدي : السوق ! أهو بعيد ؟

الرجل : أنا وحدي في البيت لا يساكنني فيه أحد ، فلا حرج عليكما من
غرفاته جميعا والسوق قريب .

ابن المهدي : (في خوف وتردد) ما ترى .. ما ترى يا أبا العرب ؟
(صوت باب يقفل)

(موسيقى)

ابن المهدي : طالت غيبة الرجل .

هشام : أتخشاه يا مولاي ؟

ابن المهدي : الجائزة تعمى البصر . هشام ما قولك ؟ لقد أصبنا من الراحة
الكفاية ، وما أظن الجند إلا قد انصرفوا .

هشام : أخرج مولاي والليل أسود والبرد قارس ، والمأوى بعيد والطريق
مخوف فماذا تفعل ؟

ابن المهدي : أى شيء .. لن أبقى .

هشام : أمرك يا مولاي (لحظة صمت) الباب مقفل بالفتاح يا مولاي ما
أظن الرجل إلا عرفنا .

ابن المهدي : كذا لا عجب أن تطول الغيبة ، إذن لابد أنه قصد المأمون ذاته ، إن
موكب الخليفة يستغرق إعداده وقتا طويلا يا هشام ، ولعله الآن في
طريقه إلينا يمشى في بطاء مشية الوقار والعظمة وما يعجله ؟ الصيد
في قفص مقفل وهو يسعى إليه ليلتذ النصر جميعا . على مهله على
مهله . ولنمت نحن من الخوف قبل أن يمتتنا السيف . ولكن لا ،
لا أنتظر انتظار النساء ، حطم الباب يا هشام وليكن بعد ذلك ما
يكون .. حطم الباب قلت لك .

م : أمرك يا مولاي .

(يحاول كسر الباب ثم يسمع طرق)

المهدي : ما هذا ؟

جل : (يفتح الباب) السلام عليكم ، أهذا الحد تأخرت ؟ لقد أقفلت

الباب حتى لا يزعجكم مزعج . اقبلا عذرى فى التأخير فالسوق بعيد وما شريته كثير .

ابن المهدي : أكنت تشتري حقيقة ؟

الرجل : وما تظننى كنت أفعل ؟ إننى حجام صناعتى إخراج الدماء الفاسدة من الأجسام ، صناعة ليست بالنظيفة على ما أعتقد . خفت أن تتقرفا مما أستعمله فذهبت أشتري أوانى جديدة .

ابن المهدي : نعم أنت ونعمت صناعتك . إن من يزيل ألم الإنسان ملاك بعثه الله إلى الأرض يخفف به من شرورها .

الرجل : على أية حال قد شريت الجديد . وكم أريد أن أطهر لكما شيئا ولكن طهرى بدائى ، وأنا حجام فدونكما الأوانى فاطبخا شيئا تأكلانه . ها هو الأكل ذا ، هذا لحم عبيط .. وهذا ..

(موسيقى)

ابن المهدي : ما شعرت لذة لأكلة مثل هذه . ما أجمل أن يتذوق الإنسان ما يصنعه .

الرجل : بارككما الله . لقد آنستما وحشتى وأمتعتمانى ليلتى ، ووالله لا بد أن يكمل هذا السرور . أملك هنا عودا ألبأ إليه فى أحد من حالين .. إذا أخذ على الضيق كل مأخذ فهو نجأتى منه ، وإذا لم يبي السرور من كل صوب فهو قمة السرور .

هشام : نعم الملجأ والقمة ما اخترت .

الرجل : أضرب لكما عليه أم تكون جرأة كبيرة منى أن أعزف على مسمع من مولاي .

ابن المهدي : ويحك يا رجل أتعرفنى ؟

الرجل : منذ الوهلة الأولى يا مولاي ، ابن المهدي أخو الرشيد وعم المأمون

وخليفتنا أدامه الله .

ابن المهدي : تقصد خليفتم السابق لاشك ، ولكن ..

الرجل : ولكن ماذا يا مولاي ؟ تقصد الجائزة ؟ أعلمها مائة ألف درهم قدر كبير حقا أعلم ذلك . إن طرقتك بابى يا مولاي مجرد طرقتك لا يكافئه مال فى العالم .

ابن المهدي : نفس كبيرة تملكها . إن نفسك تلك هى التى لا يكافئها مال أيها الحجام . هات العود فوالله لأسمعك أنا لحننا تقاصرت عنه الفنون جميعا .

(يدق على العود)

الرجل : فنك مولاي هو ملاذك وملحوك . هو تلك النسمة التى يهبها الله لفرد من عباده فيجدها عند الضيق فرجا وعند الفرج لسانا . فنك يا مولاي الجأ إليه فإنك فى عالم تتحطم دونه كل قوة وتتكسر على سياجه كل شوكة . فنك يا مولاي فلتعزف مولاي ولنفسك تعزف ، والجمال والهدوء والسعادة كلها فى هذه الأصابع الدقيقة تجريها ، وفى هاته الحنجرة الذهبية تطلقها إلى غير سكوت إن شاء الله . فنك مولاي .. فنك .

(يرتفع صوت العود)

(موسيقى)

ابن المهدي : هاقد أقبل الصبح يا هشام ، وإن فيه لعيونا كاشفة أخشى أن تفضح من أمرنا ما نستر . فهلم نبغ مأمنا .

هشام : أمرك يا مولاي .. ولكن ألا تنتظر الرجل حتى يعود نشكر كرمه وطيب ضيافته ؟

ابن المهدي : ما أظننى محتاجا لهذه الإشارة يا هشام . إنك تخاطب ابن المهدي

لئن زالت الخلافة فإن فيّ أعرافا عربية كريمة أنت أدرى الناس بها .

هشام : عفوا مولاي فوالله ما قصدت إلا ...

الرجل : (يدخل) سعيد صباح مولاي .

ابن المهدي : سعيد صباحك أيها الكريم ، لقد نوينا الرحلة إن شاء الله .

الرجل : على عيني ما انتويته .

ابن المهدي : كرم عريض لاقيته عندك ، ولا أملك لجميلك الآن ردا .. فهل

زدت كرمك كرما .. وقبلت منى هذه الدنانير على سبيل

التذكار ؟

الرجل : والله يا مولاي مادار بخلدي أن تهينني هذه الإهانة . لقد رجحت مر

الدنيا فوق ما كنت آمل منها . ابن المهدي ضيف على داره

الحقيرة ، وابن المهدي يغني وأنا أسمع ، وابن المهدي يكرمني فيعتب

تفضله بالتزول عندي أمرا يستحق منه الشكر . إن آمالي يا مولاي

لتنقصر أن تصل إلى ما وصلت إليه اليوم ، وإنه إن لم ترد هذا المال

إلى جيبيك قتلت نفسي وأنت عن دمي مسئول .

ابن المهدي : وبعد لك أيها الرجل ؟ تأبى إلا أن تترك جميلك كاملا على كتفي ،

عبء كبير أسأل الله العون .

الرجل : مولاي ، إنى لا آمن عليكما أن تنزلا في وضح الصباح ، والجائزة

مغرية وما كل بمأمون الضمير .

ابن المهدي : أشر علىّ إذن .. فما أطيق أن أبقى لديك لا أريم فيعرف مكاني

ويسعى إليّ ، أو أنا في الحق لا أطيق أن أنتظر البلاء وأنا في مكان

النساء ، لا أطيق . أشر علىّ فأخرجني .

هشام : النساء . أذكرتني مولاي النساء .

ابن المهدي : ويحك أيها الرجل . هل بك مس ؟ مالنا والنساء الآن ؟

هشام : نليس لباسهن ونخرج ، فما أحسب أحدا ..

ابن المهدي : احسأ يا رجل لبس نساء . أنا ألبس لبس النساء !؟

هشام : وما يضيرك مولاي ؟ أأست الرجل مشهورة رجولتك ؟ أأست ابن

المهدي لا يضير عليك . من أجل السياسة أن تلبس لباس النساء .

إن لباس النساء يا مولاي هو أشرف ما يتنكر به الساسة من

ملايس ، فتوكل على الله مولاي . لبس النساء أيها الصديق لبس

النساء .

الرجل : أحسبه صادقا فيما يذهب إليه يا مولاي ، فإنها وسيلة تكاد

تنفرد .. سأحضر أنا هذه الملايس .

ابن المهدي : بئس يوم خطرت لي فيه فكرة الخلافة .. خنت القرابة وأضعت

الأمانة وها أنا ذا مشئت الكرامة مسلوب مظاهر الرجولة .

هشام : أدام الله عليك الجوهر يا مولاي .

ابن المهدي : الجوهر .. الجوهر .. من يعلم الجوهر ؟ الجوهر هو ذلك الدفين في

أعماق النفس .. لا يعلم أحد عنه شيئا . الدنيا كلها مظهر . أنت

امرأة إذا لبست لباسها ، والمرأة رجل إذا لبست لباسه . أنت امرأة

حين تبدو لرائيك بملايس النساء ، أما ما أنت عليه حقيقة فإن قلة

يعرفونه .

هشام : أحسبني يا مولاي لا أستطيع ردا .. كما أعتقد أننا محتاجون

للوقت .. ففعل يدك فيه بعض الشيء . وخير لنا أن نفكر أين سنولى

الوجوه ؟

ابن المهدي : أين نولى الوجوه ؟ كأنك قد نسيت إلى جاريتي عاتكة ، نعم الملحأ

هي .

هشام : أدامك الله مولاي . إن ما سكبت علينا من الفضل ليلقى على

قلوبنا الهدوء الأمين .

ابن المهدي : إنك تقول هذا لما تعرفه .. أما ما تجهله فهو أكثر بكثير .. لقد عرفت هذه الجارية من أمرى ما لم تعرفه عنى جارية أخرى فى أى مكان وأى وقت .

هشام : إن قولك هذا يا سيدى وصف لما رأيته نحن ، فإن كان ثمة أكثر فإننى أخشى أن أقول لمولاي إنه أشرف .

ابن المهدي : لقد قتلها فعلا . على أية حال أسرفت أو وفرت فات الوقت فهلهم إلى عاتكة .

هشام : هات أيها الرجل ، هات هذه الملابس .

الرجل : وأين عاتكة هذه يا سيدى هشام ؟

ابن المهدي : شكرا لك ايها الرجل النبيل ، لا تكلف نفسك مشقة المجيء إلينا سوف نوافيك بأخبارنا . على أنك فى غير حاجة إلى أخبار فهى خير ما دامت مقطوعة ، ولن يصلك منها إلا ما لا تحب فعلى هذا انتظر .

الرجل : يراكما الله ، لقد شرفتنى يا مولاي وما أظن الله إلا راعيك بفيض كرمه ووسيع فضله . يراكَ الله يراكَ الله يا مولاي .

ابن المهدي : أمسك ، فقد زدت الفضل أفضالا بكلامك . فإلى لقاء آخر لقاء قريب .

هشام : أسرع يا مولاي أسرع . إلى عاتكة إلى عاتكة إنها نعم الملجأ .

(موسيقى)

ابن المهدي : وهأنذا عندك الآن يا عاتكة لا خوف ولا إشفاق .

عاتكة : عند نفسك يا مولاي ، بيتك بيتك . لعلك تأذن لى مولاي لو طلبت إليك أن أخرج إلى السوق وأشتري ما أريد وأتسمع

الأخبار . تأذن يا مولاي ؟

ابن المهدي : نأذن يا عاتكة ، فأنا فى بيتى وفى مأمى . هيا هيا وتصيدى أخبارا ، هيا أسرعى .

عاتكة : إذن فدونكما يا مولاي نردًا اقطعا به الوقت حتى أعود (صوت أحجار النرد)

(موسيقى)

ابن المهدي : أيعبد السوق عن هنا يا هشام ؟

هشام : بل هو قريب يا مولاي .

ابن المهدي : فما هذه الغيبة إذن ؟ (صوت النرد)

هشام : ماذا . أخوف مولاي .

ابن المهدي : (فى دهشة) من عاتكة .. أتخوف يا هشام .

هشام : لا خوف ولكنه مزاح .. عاتكة .. هل يخشى من عاتكة ؟ إنها نعم الملجأ .

(جلبة شديدة تظهر من بعيد وتقترب ثم يقرع الباب بشدة)

صوت : (من الخارج) باسم أمير المؤمنين المأمون بن الرشيد افتحوا الباب .

هشام : (يكرر فى سخرية مريره) عاتكة . هل يخشى من عاتكة ؟ إنها نعم الملجأ .

(موسيقى)

(مجلس المأمون)

المذيع : المأمون بن الرشيد فى مجلسه .. تحيط به الأبهة من كل جانب ،

وقد التف حول عرشه النابغون من العلماء ، وهو يأمر للمقرب

فيجلس ولغيره فيقف ، والناس على وجوههم الوجمة وفى

نفوسهم الرهبة والمأمون أثبت من الطود تترقق فى قلبه عواطف

الحبة لعمه فلا يديها ، وتثور في نفسه عوامل الانتقام والثورة ،
فلا تجرؤ واحدة من هذه الخوارج أن تصل إلى نامة من وجهه .
ها هو ذا إبراهيم بن المهدي يدخل متعثرا .

ابن المهدي : السلام على أمير المؤمنين المأمون ابن أخي الرشيد .

المأمون : أو ذكرت أخاك في قبره وابنه يؤوده العباء فيكاد ينوء به .
أذكرتهما ، تدعى الخلافة وتخرج عليه . لا أنزل الله عليك السلام
أبدا . لقد كان خيرا لك أن تنسى العمومة والقراية فلا توغل بهما
في جراح هي في ذاتها عميقة كل العمق . أيعترف الكل لابن
أخيك بالخلافة وتكرها أنت عليه وتدعيها لنفسك . ولم تكن لك
في يوم خلافة .

ابن المهدي : يا أمير المؤمنين ، إن ولي الثأر محكم في القصاص ، والعفو أقرب
للتقوى . وقد جعلك الله فوق كل عفو كما جعل ذنبي فوق كل
ذنب ، فإن أخذت فبحقك وإن تعف فبفضلك .

ذَنْبِي إِلَيْكَ عَظِيمٌ وَأَنْتَ أَعْظَمُ مِنْهُ
فَحَذِّ بِحَقِّكَ أَوْلَا فَاصْفَحْ بِحِلْمِكَ عَنْهُ
إِنْ لَمْ أَكُنْ فِي فِعَالِي مِنَ الْكِرَامِ فَكُنْهُ

المأمون : موقف لا أرضاه لك ، والله ما كان أغناك عنه .

ابن المهدي : أَتَيْتُ ذَنْبًا عَظِيمًا وَأَنْتَ لِلْعَفْوِ أَهْلٌ
فَإِنْ عَفَوْتَ فَمَنْ وَإِنْ جَزَيْتَ فَعَدْلٌ

المأمون : نسأل فيك الجالسين .

أصوات : نقتله شنقا .

أصوات : بل نذبحه .

أصوات : نمثل به .

(فترة صمت)

المأمون : ما لأحمد بن أبي خالد لا يقول رأيا ، ألقى الدلو في الدلاء .
أحمد : يا أمير المؤمنين إن تقتله وجدنا مثلك قتل مثله ، وإن عفوت عنه لم
نجد مثلك عفا عن مثله .

المأمون : إيه ؟

قَوْمِي هُمُوا قَتَلُوا أُمَّيْمَ أَحْيَى فَإِذَا رَمَيْتُ أَصَابِنِي سَهْمِي
ابن المهدي : الله أكبر .. الله أكبر .. عفا والله أمير المؤمنين .

ما إن عصيتك والغواة تمدُّ من أسبابها إلا بنينة طائع
مُلِيتْ قُلُوبُ النَّاسِ مِنْكَ مَهَابَةً وَتَظَلُّ تَكْلَأُهُمْ بِقَلْبٍ خَاشِعٍ
فَعَفُوتَ عَمَّنْ لَمْ يَكُنْ عَنْ مِثْلِهِ عَفْوٌ وَلَمْ يَشْفَعْ لَدَيْكَ بِشَافِعٍ
المأمون : أعوذ بالله أن أحوجك إلى شافع عماه .. ولكن ما ترى فيمن رأى
قتلك ، إن أبا إسحق أشار بذلك ؟

ابن المهدي : والله يا مولاي لو كنت مكانهما ما قلت بغير هذا . لقد أحسنا
النصح يا مولاي وأحسننت أنت العفو وأنت له أهل ، فدفعت
خشية منى بأمل في صلاحى ، فليست والله ابن المهدي إن سمحت
لأمل لك أن يخيب .

المأمون : إن اعتذارك النابض بالحياة يؤكد صدقه ياعماه لاقيت من المطاردة
عنتا فهلا قصصت ما لاقيت .

(موسيقى)

المأمون : ايدنوا للحجج بالدخول .

الحجج : السلام على أمير المؤمنين .

المأمون : وعليك السلام يا أخا العرب . إنك والله لأكرم من أن تكون
حجاما . أبلغوا أمير الجند أن يضمه إلى الجيش ويخلع عليه ويعطيه

الفصل العاشر

« كتيبة الأهوال »

- (موسيقى عنيقة) :
- صوت : كان نصرا مؤزرا يا سعد .
- سعد : إنما هو من عند الله يؤتيه من يشاء من عباده المخلصين .
- الصوت : لقد كنت فى المدينة ورأيت أمير المؤمنين وهو يستقبل أنباءك . لو رأيت فرحته يا سعد لعرفت ما لفتح القادسية من أهمية .
- سعد : فهل بلغ عمر فرار الفرس بعد هزيمتهم ، وقد تشتت كل جمع لهم بمدينة ؟
- الصوت : قد بلغه ذلك ... وقر به عينا .
- سعد : فبماذا جئت إذن من المدينة ؟
- الصوت : جئت إليك بأمر من عمر .
- سعد : أعرفه .
- الصوت : فما هو ؟
- سعد : أن تكف عن الغزو .
- الصوت : جهلته والله يابن أبى وقاص .
- سعد : فهى البشرى إذن .
- الصوت : لقد فرح عمر بالنصر ، حتى أمر بفتح المدائن .
- سعد : الله أكبر .. إنه والله الفتح .
- الصوت : إنه دين الله يشرق على الأعاجم .
- سعد : اللهم إنك أنت العزيز القوى . اللهم إنه دينك دين الحق . اللهم قد

بيتا يسكن فيه .

- الحجاء : مولاي .. إننى أقبل ما تأمر به لأنه أمر منك لا أملك من دون ردا .. أما أنا .. فوالله ما كنت أرجو بعد الشرف الذى نلته إلا أن أعيش فى ذكراه ، وسأعيش إن شاء الله فى غمرة فضلك وفى ذكرى هذه الليلة التى شرفنى فيها عمك أدامكما الله .
- المأمون : ائذنوا للمرأة بالدخول .
- عاتكة : السلام على أمير المؤمنين .
- المأمون : خيرينى يا امرأة ؟ ما الذى حملك على ما فعلت .. أتخونين من ائتمنتك . أيتقرب إلى بالخيانة ؟
- عاتكة : لا والله يا مولاي ، إنما أنا فقيرة أريد مالا .
- المأمون : ألك زوج أو ولد ؟
- عاتكة : لا .
- المأمون : أو لم يسكب عليك مولاك الخير كله .
- عاتكة : بلى يا مولاي لقد كان خيرا معى .
- المأمون : فأعطوها الجائزة إذن وأدخلوها السجن تعيش فيه ما بقى من حياتها . لا يدفع الشر إلا بالشر ، كما لا يزدهى الخير إلا بالخير .
- (موسيقى) .

رأيت ملائكتك في المعركة فرأيت هزيمة المسلمين تصبح نصرا ،
ورأيت روحك القدس تهب النصر لعبادك المسلمين ويعود العدو
مخدولا .. رأى قلبى ملائكتك وروحك وأكاد وحقك أن أقول إن
عينى شاركتنا القلب الرؤبة .

الصوت :

: هنيئا سعد ..

سعد :

كنت فى القادسية مريضا ، أما اليوم فهلم هلم إلى النصر أو إلى
ما هو خير من النصر ، إلى الجنة لبيك اللهم لبيك .

أصوات :

: لبيك اللهم لبيك .

(موسيقى)

الراويّة :

واندفع المسلمون يرددون وراء قائدهم : لبيك اللهم لبيك .
إنهم فى طريقهم إلى واحد من الأمرين كلاهما أعذب من الأمل
وأحلى من الأمنيات وأبهى من الرجاء المحقق . إنهم فى طريقهم
إلى النصر أو الجنة .

(موسيقى)

الصوت :

: إلى أين طريقك يا سعد ؟

سعد :

: إلى بهرسير .. أفتحها وأخلص منها إلى المدائن .

الصوت :

: ولكن بهرسير حصون منيعة وقلاع شاهقة ، فكيف تفتحها ؟

سعد :

وهل أنا من أفتحها ؟ إنه الله يا بنى ، ومتى رأيت الحصون والقلاع
تعوق طريقا لإرادة الله أن تنفذ ولمشيئته أن تتم !؟

الصوت :

ولكن أخشى أن يتمكن منك الأعداء وهم خلف حصونهم بمنحى
منك ، وأنت على مرمى النبل منهم .

سعد :

يا أخى قد تعجلت الأمور وتخوفت المستقبل ، ونحن بعد لم نطالع
الحصون ولم نشهد القلاع ، فاكم حديثك لا تخوف به الجند حتى

نرى فى أمرنا وأمر الحصون ، ثم تدبر لكل أمر أمرا من فوقنا
سبحانه يهدى وإنه الهدى .

(موسيقى)

الراويّة :

وبلغ الجند بهرسير وكان يزدجرد كبير الفرس قد احتفى بها
راجيا ان تقف دونه القلاع والحصون وأقام سعد بعسكره أمام
بهرسير وقد أمن الطريق من خلفه فقد أصبح كل ما وراءه عربيا
خالصا يدين بالإسلام لله وبالطاعة لعمر ، ورأى سعد أن
يستشير أصحابه .

سعد :

: أشيروا على الأمر ، أنهاجم أو ننتظر .

صوت :

: الرأى إليك .

سعد :

: وأنا أداوله بينكم .

صوت :

: أرى أن نقيم حتى يرتاح الجنود .

آخر :

: وأرى أن الحصون قوية ولا بد لنا أن نختبرها .

سعد :

ولكن نفوس الجند إلى الحرب فلو أننا توكلنا على الله وهجمنا وهم
فى نشوة النصر وفى زهوة الفرح أدركنا العدو .

آخر :

: ولكن العدو منيع .

سعد :

إنه منيع بحصونه ولكنه ضعيف منهار فى داخله . إن نفوس العدو
هزيمة كسيرة لا تطيق أن تقاوم إذا نحن شددنا عليهم .

آخر :

إن زهوة النصر يا سعد سلاح ذو حدين .. أخشى أن ينبعث الجند
إلى الحرب فلا يلقون إلى الحرص بالا .

آخر :

: فإذا هزموا فقدوا إيمانهم وهو سلاحهم .

سعد :

: أرى العقل فى قولكم .

آخر :

: ونحن هنا آمنون .

- سعد : ولكنني أخشى أن يطول بنا المقام ، فإن بهر سير لن تكون محاصرة
إذا نحن أقمنا هنا فإنهم سيمدوننا من وراء نهر الدجلة بالزاد من
العراق وفارس ، ولن ينتهي هذا الزاد أبدا .
- الصوت : إذن ننتظر . ولا تخف على جنودنا فهم إن بقوا هنا على مرأى من
القلاع والحصون ازداد شوقهم كل يوم أن يروا ما وراءها .
- سعد : اجمعوا الجند إذن .

(موسيقى)

- سعد : نحن مقيمون هنا وقد ترك لكم الأعاجم أرضهم فازرعوها ، وهنيئا
لكم خراجها غير باغين ولا ظالمين .
- أصوات : القلاع القلاع .
- سعد : لقد استشرت فأشرت . نقيم هنا ما كثرنا يحيط بنا الأمن والرخاء
حتى أرى رأى وأمر أمرى وإنسى وإياكم مع النصر والجنة على
موعد لا تخلفه .

(موسيقى)

- الراوي : كان هذا يزيد جرد في بهر سير ... أسد محطم البرائن واهن القوى
حبيس ذلة وهزيمة وانكسار ، يستشير فلا يجد من يشير ، ويسأل
فلا يهفو إليه مجيب ، فهو بين الحيرة والخذلان .
- يزدجرد : فهم إذن مقيمون إقامة غير نازح .
- صوت : وما يخيفهم يا مولاي والبلاد من خلفهم بلادهم .
- يزدجرد : ولكننا نحن من أمامهم . ألا نثير فيهم نبضة من خوف أو خلجة من
خشية .
- صوت : أتخسب هذه السهام الفرادى التي نرسلها ، تخيف منهم أمنا
أو تحرك ساكننا ؟!

- يزدجرد : وما لها لا تفعل ؟
- صوت : لقد نصبوا لنا المنحنيق ، فكل سهم منا تقابله رمية من المنحنيق .
وجنودنا فى خوف ذاعر وجنودهم فى فرح غامر ، وجنودنا
يذكرون هزيمة القادسية وجنودهم يذكرون النصر .
- يزدجرد : فهى النهاية .
- الصوت : أو بداية النهاية .
- يزدجرد : بل لن يكون هذا والنار المقدسة ، لأرسلن إليهم الجند الكثيف
تطالعهم بالهول والعذاب ، أم حسبوا أننا نضعف عنهم أو نهون إلى
الحرب .

(موسيقى عنيفة)

- الراوي : وأمر يزيد جرد بالجنود أن تكتب وبالجنود أن يستعد . وبذل
جهداً باليأس وما هو بالقليل ، وسعد وصحبه يعدون لهم فهم
مقيمون يستقبلون السهام باسمين ، فإن عنّ لهم أن يردوها قذائف
لا هبة حتى كان اليوم .
- صوت : يا سعد ، أرى عسكر الفرس يخرجون عند الظهر من قلاعهم ،
فيرمون السهام ثم يدلّفون إلى عسكرهم آمنين .
- سعد : وما تريد منهم ؟
- الصوت : نقتلهم .
- سعد : سبحانه يجعل من يشاء قائداً ويجعل من يشاء جندياً . وهيهات أن
يصعد المرء إلا بعقله .
- الصوت : أراك تسخر منى ؟
- سعد : وما لي لا أفعل ؟ وإلا فبرك قل لي أى فائدة تجنيها من قتل خمسة
أو عشرة من الجنود ما يلبث غيرهم أن يخرج إلينا ؟!

- الصوت : وماذا تريد أن تفعل ؟
- سعد : لو أنك استدرجت هؤلاء الرماة فجعلتهم .. لا .. أنت لا تستطيع .. علىّ بأبي محجن الثقفى .
- الصوت : يا أبا محجن .
- أبو محجن : لبيك .
- سعد : تعال يا أبا محجن .. فلقد والله صرت قريبا إلى نفسى منذ رأيتك على اللقاء ، ومنذ رأيتك تتوب إلى الله فلا تشرب الخمر .
- أبو محجن : يا بن أبى وقاص لقد اقتلعت من نفسى حب الخمر ، لما رأيتها تقيدنى فلا أقاتل وإخوانى فوق خيولهم يجاهدون فى سبيل الله . فأقسمت لا أذوقها ، ورضى الله عن زوجك فقد فكت عنى قيودى التى وضعتها وهيات لى أن أخوض المعركة .
- سعد : إذن فاسمع ، إذا خرج بعض الأعاجم فاستدرجهم حتى يحسبوا أنهم سيفوزون بك أسيرا . اجعل صحبتك يختفوا فى مكان تعينه لهم واستدرج الأعاجم إليهم ثم أحط به أنت ومن معك وهاتهم لى أسرى ولا تقتلهم ، إنى أريدهم أسرى .
- الراويّة : وعند الظهيرة خرج بعض الأعاجم يلقون السهام فبدا لهم أبو محجن منفردا وقد وضع على نفسه أنفـس الثياب فطمعوا فيه . وحين رأهم تصنع الخوف وصار يلتفت يمنة ويسرة كمن يريد أن يرى مخرجا ثم خرج وأظهر لهم أنه يعرج فى عذوه فازداد طمعهم فيه فلحقوا به حتى إذا بلغوا المكان الذى اختفى فيه أصحاب الثقفى صاح أبو محجن .
- أبو محجن : الله أكبر .
- الراويّة : فإذا الأعاجم .

- صوت : أسرى جئناك يا أمير الجيش ، فارفق بنا .
- سعد : إنى رفيق بكم ، ولكن أخبرونى ماذا يفعل ملككم ؟
- الصوت : حائر فى أمره مذهول لا يدرى كيف يساوركم .
- سعد : (فى حدة) اصدق أيها الرجل .. اصدق أو قتلتك .
- الصوت : (فى خوف) إنه ياسيدى قابع فى داره .
- سعد : بل أنت كاذب .
- الصوت : بل صادق يا سيدى .
- سعد : اصدقنى وإلا قتلتك .
- الصوت : إنه لا يفعل شيئا .
- سعد : وهل يمكن أن أعقل هذا ... ماذا ينتظر ؟ .. لابد أنه يجهز الآن جيشا وقد أمر بكم أن تخرجوا كل يوم ، حتى نلهى بكم فلا نفكر فى التهيؤ له إن هو نفر إلينا .
- الصوت : (فى دهشة) كيف يدخل الإنسان دينكم ؟
- سعد : قل أشهد ألا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله .
- الصوت : فأنا أشهد ألا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله .. فما يدرك ما أدركت إلا الملهمون .. أنت صادق أيها الأمير ، إنه يجهز لكم جيشا .
- سعد : بارك الله فىك أيها الرجل ، إذن فاسمع سأرى بلاءك فى الحرب فإن رأيت حسن إسلامك جعلتك عيننا لى على الفرس تأتينى بأخبارهم .
- صوات : أشهد أنى أسلمت غير مرغم ولا مضطر .. وأشهد أنى صادق .
- (موسيقى عنيفة)
- الراويّة : وخرج جيش يزيدجرد وقد خيل لقواده أنهم سيجدون المسلمين

لا هين عنهم فى شغل بالنعيم الذى هياه الله لهم . ولكن راعهم
أن جند العرب واقفون لهم بكل مرصاد يدافعون عن إيمانهم
بالروح رخيصة فى سبيل الله (قعقة سيوف) وما هو إلا
ارتداد البصر حتى ارتد جنود الأعاجم يحملون الهزيمة المنكرة ،
وآب جنود الإسلام يحيط بهم جلال النصر . وكانت أنباء القتال
تصل إلى يزيد جرد لحظة بلحظة وقتيلا بقتيل حتى إذا تمت له
الهزيمة عاد إلى مستشاريه .

يزدجرد :

ماذا أفعل ؟

صوت :

أصبحنا لا ندرى .

يزدجرد :

وهل كنت تدرى ؟! .. ما هؤلاء العرب ؟! .. من سيوفهم ؟! ..

إنهم هزال يركبون العجاف .. ضعاف فى نعالمهم .. عفاة فى
مظهرهم ، ثم يوقعون بنا الهزائم التوالى فلا نفيق من هزيمة حتى
نلقى إلى أخرى .

الصوت :

لقد وصفت يا مولاي فصدقت .. ولكن لم تصف إلا ما ترى العين

منهم . وما أراك تعمقت إلى مدى أعمالهم من عظمة الروح ... إن
أجسامهم الهزيلة تحمل إيمان الدنيا أجمع ... إنهم يؤمنون يا مولاي
أن لا إله إلا الله ونؤمن نحن ألا إله إلا النار ، ويؤمنون يا مولاي أن
محمد رسول الله ونؤمن نحن أنه لا ملك إلا أنت ... إنه الإيمان
يا مولاي ما نحاربه .

يزدجرد :

أراك صادقا ... بقى سهم أخير لا أملك غيره ... إنى مرسل لهم

رسولا .

(موسيقى)

صوت :

رسول من يزيد جرد ملك الفرس يطلب لقاءك يا سعد .

سعد : دعه يدخل ... لعله جاء يعرض خيرا .

لرسول :

السلام عليكم قائد العرب .

سعد :

السلام على رسول الأعاجم .

الرسول :

يعرض مولاي الصلح .

سعد :

وكيف يتم ؟

الرسول :

أن يترك لك ما فتحته من أرض فارس ، فهى خالصة لكم ، وتترك
له ما لم تفتحته .

سعد :

إن البلاد التى فتحناها لم تعد له حتى يملك أن يتركها
أو لا يتركها .. أما البلاد التى لم نغزها فنحن لا نريد بها شرا .
وما ضرها - يا أخا الفرس - لو أنها قالت أشهد ألا إله إلا الله وأن
محمد رسول الله فنتركها وشأنها .

الرسول :

أرى فى قولك رفضا لما يعرض مولاي .

سعد :

إنى إنما جئت لأعرض عليكم الإسلام ، فإن قبلتموه فأنتم مثلنا لكم
مالنا وعليكم ما علينا . فإن أبيتم فادفعوا الجزية حتى يشرح الله
قلوبكم للإسلام .

الرسول :

فإن أبيتنا ؟

سعد :

ويل لكم من الثالثة يا أخا الفرس . إنها ما علمتم من الحرب
المندلعة تأكلكم كهشيم سرت به النار .. لا تختاروا الثالثة يا أخا
الفرس فإنها الدمار والوبال .

الرسول :

سأبلغ رفضك إلى مولاي .

سعد :

أبلغه .. وإنى هنا .. لن أريم .

صوت :

(الفارس الذى أسلم) لم ينتظر عودة رسوله يا أمير الجيش .

سعد :

ماذا ؟

- صوت : ألم يرسل لك رسولا ؟ .
- سعد : بلى ... لقد تركنى الساعة .
- الصوت : ولكن يزدجرد لم ينتظر أن يعود الرسول ، بل جمع من ماله ما خف حملا وغلا ثمنا ونهج طريقه إلى حلوان هاربا .
- سعد : وجنوده ؟
- الصوت : حيارى ذاهلين .. حطم هرب الملك نفوسهم فهم لا يدرون ما هم فاعلون . أبحاربون ؟ .. وفى سبيل من حربهم ؟ ... أم يخضعون ؟ .. فما شأن أولادهم وذويهم ؟ ..
- سعد : (فى فرح) الله أكبر .. الله أكبر .. لقد فتحت لكم بهرسير .. لقد فتح لكم طريق المدائن .. إلى الحصون أيها المسلمون .. إلى الحصون .. الله أكبر .
- أصوات : (فى قوة) الله أكبر .
- الراويّة : الله أكبر ما طلع الفجر وما غاب النهار .. لقد فتحت لكم بهرسير ومنها الطريق إلى المدائن عاصمة الفرس وملك الحضارة . وقد كانت بهرسير واقعة على الضفة الدجلة يفصلها النهر الصاخب عن المدائن ، وكان هناك جسر يصل بين المدينتين ولم يعبا جنود الإسلام بالليل أخذوا طريقهم إلى الفرات (صوت هدير أمواج يظل ملازما للمشهد) ولكن .
- صوت : لقد حطم الفرس الجسر ..
- آخر : وأخذوا السفن إلى الضفة الأخرى .
- آخر : وها هم جنودهم أولاء يقفون على الضفة الأخرى ، ويدهم سلاحهم يلمع فى سواد الليل .
- آخر : ولكن انظر .

- آخر : ماذا ؟
- آخر : إن القمر يبدو .
- سعد : ويل لكم من الثالثة يا أبا الفرس ... إنها ما علمتم .
- آخر : وما فى ذلك ؟
- آخر : القمر يطلع ، فانظر أمامك .. أترى ؟
- آخر : (فى دهشة) الله أكبر .
- آخر : قصر الجلال .. هذه الأسطورة التى حققت هذا الحلم الذى اصبح واقعا .. الله أكبر الله أكبر .. إنه أبيض كسرى .. أعظم قصر عرفته الحضارة . شاهق إلى أبراج السماء .. عريض يسد الأرض ، إليه أيها المسلمون إليه .
- آخر : إليه .. إليه (فى تخاذل) ولكن كيف السبيل إليه والنهر عميق متباعد الشيطان هادر الأمواج صحابه لا يهدأ له بحرى .. يجرف فلا يبقى يندفع فهو لا يراعى ولا يعف .
- سعد : أجل ، فإنه الساعة فى ذروة تدفقه ، فهو ينبع من أذربيجان ونحن فى فصل ذوبان الثلوج فالماء موار بها . والدفاع عنيف الانطلاق .
- صوت : انتهى بنا الفتح إلى هنا .
- سعد : لا كان ذلك اليوم ... والله لو كان ألف نهر وألف بحر ليبلغن الإسلام إلى الفرس وعلى أيديكم أيها الجنود .
- (موسيقى)
- الراويّة : وفرح جنود يزدجرد أن وقف المسلمون حيارى أمام نهرهم متدافع اللجج جارف الدفاع .. وخيل إليهم - خاب فأهم - أنه قد آن لهم أن يرتاحوا بعض يوم فيقول قائلهم :
- صوت : لقد آن لهؤلاء العرب أن يجدوا شيئا يمنعهم .

آخر : (فى سخريه) فلنر إذن ماذا تفعل خيولهم العجفاء أو سيوفهم تلك
الوامضة فى نهرنا الثائر .

آخر : رعاك الله يا دجلة .. كنت لنا خصبا وريا ، وأنت لنا اليوم حصن
وأمن .

آخر : لقد وقفوا صاغرين .

آخر : وسيظلون واقفين .

(قهقهة عالية تنتهى بصوت سعد)

سعد : أيها الجند إن عدوكم قد اعتصم منكم بهذا البحر ، فلا تخلصوا إليه
منه وقد أبدت من الرأى أن تبادروا جهاد العدو بنياتكم قبل أن
تحصركم الدنيا . ألا إني قد عزمت على قطع هذا البحر إليهم .

الراوي : ماذا؟! .. ماذا يقول سعد؟ أيقطع البحر إلى الفرس؟ .. بغير
جسر وبغير سفن!! .. والبحر موار العباب . الدجلة فى القمة
من تدفعه ... لعلنا أخطأنا ... لعله لا يعنى ما يقول ... لك الله
يا سعد ... وكيف يمكن أن تعبر الدجلة؟

سعد : على الخيل ..

الراوي : (فى دهشة) على الخيل!؟

سعد : على الخيل ... أريد منكم كتيبة تخوض هذا النهر على الخيل .. من
يفعلها؟

صوت : أنا .

سعد : عاصم بن عمر ... انتدب معك ستمائة ممن تعرف بأسهم .

صوت : أنا .

آخر : أنا .

آخر : أنا .

آخر : وانتدب عاصم الستمائة ثم اختار منهم ستين فارسا تقدمهم إلى
حافة النهر وهو يقول :

الراوي : من هذه المياه تخاف؟ .. بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ وما كان
لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا ﴾ الله أكبر .

وعلى الضفة الأخرى وقف الفرس لا يصدقون عيونهم ، حتى
إذا رأوا أمواج النهر قد صارت خيلا .. ورأوا الأمر حقيقة واقعة
لا وهما ولا خيالا تصايحوا .

احدهم : إنهم من الجن .

آخر : ليسوا من البشر .

آخر : إنهم مجانين .

آخر : نلقاهم فى النهر .

آخر : القهم أنت .

الراوي : وفر أكثر جنود الفرس طريقهم إلى أبيض كسرى ليستقبلوا فيه
الفاحين ، فما أصبحوا يأملون فى شىء أن يقف دون العرب ،
ولكن بعضا منهم ينزل إلى النهر ليقاتلوا عاصما وصحابه ،
ولكن عاصما يقول لمن معه :

عاصم : الرماح .. الرماح .. وتوخوا عيون خيولهم .

الراوي : فيعود الفرس أدراجهم يحيط بهم الهول والفرغ . ويعبر عاصم
النهر فى كتيبة الأهوال التى انتدبها ويتبعه من بعد الستمائة ، ثم
تنزل جيوش المسلمين جميعها إلى النهر الثائر والذى كان يظنه
أصحابه ثائرا لهم فإذا هو ثائر عليهم . فإنما هو يجرى بأمر الله
وما كان له أن يقف دون جنود الله فهو لهم مجراه .. وينتقل
الجيش العربى جميعه إلى الضفة الأخرى لا يفقد الجيش منهم احدا

الفصل الحادي عشر

« الفتح الأول »

الراويّة : من الأعماد ، من الأشعة الأولى لنور الإسلام ، من هذه الشواهد تعلقو فلا يلحق بها نظر ، وتسمو فلا يهفو عليها فكر ، وإنما هي تهدي فنهدي ، وتبين ففسير ، وتضيء فترشد ، من القمم الباسقات للآباء والأجداد .. وقف عندهم التاريخ العربي خاشعا في إجلال ، وقف دونهم التاريخ الغربي صاغرا في ذلة . من العرب الأولين ، خلص إلينا تاريخهم نقيًا نقاء إيمانهم بالله ، رفيعا رفعة اعتناقهم للمبدأ ، حاول المؤرخون أن ينالوا من تاريخهم ولكن الأدلة تكاثرت عليهم ، وانثالت إليهم الحجج إرسالا ، فلم يملكوا إلا الدهول والحيرة ، ولم يملكوا إلا الاعتراف أنه الحق ... وأنه الحق ...

(موسيقى)

صوت : متى تقرأ خطاب النبي الذي معك يا عبد الله بن جحش ؟
عبد الله : وما يهملك في قراءته ؟
الصوت : أعلم إلى أي مكان نحن قاصدون .
عبد الله : لقد أمرني عليه الصلاة والسلام ألا أفتح الخطاب إلا بعد مسيرة يومين من المدينة .
الصوت : فموعدنا غدّ .
عبد الله : موعدنا غدّ .

(موسيقى)

بل ولا يفقد أحد منهم شيئا .
صوت : بل فقدت أنا .. نعم فقدت وعاء من الخشب .
آخر : ها هو ، لقد وجدته ساجحا بجانبى فى النهر .
الراويّة : ألم أقل إن أحدا لم يفقد شيئا . ودخل المسلمون المدائن ثم دخلوا إلى أبيض كسرى .. لا .. لا أحد يستطيع أن يصف ما رآوه .. ولم يجد سعد شيئا يفعله إلا أن يصلّى لله شكرا : صلاة الفتح ثماني ركعات بتسليمة واحدة . ولم يجد سعد شيئا يقوله إلا قوله عز وجل : ﴿ كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ * وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَكَيْهِنَ * كَذَلِكَ وَأُورَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ * فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ ﴾
« صدق الله العظيم »

- الصوت : هلا قرأت الكتاب يا عبد الله .
 عبد الله : نعم ، لقد مر اليومان .. نقرأ الكتاب « بسم الله الرحمن الرحيم .
 إذا نظرت في كتابي هذا ، فامض حتى تنزل نخلة فترصد بها
 قريشا ، وتعلم لنا من أخبارهم » .
 الصوت : أيقصد عليه السلام ذلك المكان الواقع بين مكة والطائف ؟
 عبد الله : إياه يقصد ، فهل أنتم سائرون معي ؟
 الصوت : على بركة الله .
 عبد الله : إن النبي أمرني ألا أكره أحدا منكم على متابعة السير ، فهل
 بينكم من يريد الرجوع إلى المدينة ؟
 أصوات : امض بنا على بركة الله .
 عبد الله : إن سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان قد خرجا وراء بعير لهما
 تخلف عن السرية .. أنتظرهما حتى يعودا أم نغضى في سبيلنا ؟
 الصوت : ما نظن إلا أن النبي يتعجل أخبارنا ، فلنمض نحن على بركة الله
 فقد طالت بهما الغيبة .
 عبد الله : على بركة الله .
 أصوات : على بركة الله .

(موسيقى)

- الرواية : وأخذت سرية عبد الله بن جحش طريقها إلى نخلة ، وحطت
 رحالها ترقب الطريق ، ولم يطل بها الترقب فقد مرت بهم قافلة
 تحمل تجارا لقريش فقال قائلهم :
 الصوت : أنترك الكفار يعمرون بنا لا نسمهم بأذى ، وهم من أحاطونا بالويل
 والعذاب ، فتركنا ديارنا نحمل ديننا وإيماننا ، ولا نقى جسوننا
 زمهرير البرد اللافح والهجير اللاهب ، فنحن في دار غربة وهم

- في ديارهم مقيمون يرعاهم الخفض من العيش ، ويقيهم الظل من
 الهجير ، والله لا أسكت أبدا .
 آخر : وماذا تريد أن تفعل ؟
 الصوت : أقتلهم ، فإذا أن أقتلهم أو يقتلونى ، أما أن يمحروا على مرمى
 السهم منى وأنا هاجع خامد ، فلا والله ، ولا محمد .
 الآخر : هون عليك الأقسام يا أخى ، فإن محمدا لم يأمر بقتالهم ، ونحن
 فى الشهر الحرام .
 الأول : إن محمدا لم يكن يعرف أن تجارة لهم ستمر بنا ، ولا يعرف أحد
 ماذا كان قائلا لو عرف بهذه التجارة .
 الآخر : إنه لا يمكن أن نقاتل فى الشهر الحرام .
 الأول : أيهما أشد إيلاما للعدل ولعرف العرب : أن نخرج من ديارنا وقد
 اشعلت الفتنة بيننا ، أم أن نقاتل فى الأشهر الحرم ؟ إني محارب .
 الآخر : ويحك ! لقد تجاوزت حدك ، ونسيت أن عبد الله بن جحش
 على رأس السرية وإليه وحده يرجع الأمر بالقتال .
 الأول : إنه لا بد لك أن تحزم أمرك ، فوالله لئن تركتم القوم هذه الليلة
 ليدخلن الحرم فيمتنعوا عليكم .
 الثانى : وإن قتلتموهم سفكتم الدماء فى الشهر الحرام .
 عبد الله : والله إن ما صنعوه بنا لأكثر حرمة عند الله من الشهر الحرام .
 دونكم وإياهم .. البدار البدار .
 أصوات : الله أكبر ، الله أكبر ..
 الرواية : وانبعثت السرية تهاجم تجارة عمرو بن الحضرمي ، ورمى
 أحدهم عمرا بسهم فأصابه وقتله ، وأسرت السرية رجلين من
 رجاله ، واقتسموا الفىء وأخرجوا خمسة للنبي ، وأخذوا

وإخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ﴿١﴾ .

عبد الله : الحمد لله ، الحمد لله .
الصوت : ولقد فرح رسول الله ، وقبل أن يأخذ الفىء .
عبد الله : وهل جاء أحد من قريش يطلب الأسيرين ؟
الصوت : نعم ولكن النبي قال : « حتى يقدم القوم صاحبينا » يعنى سعدا وعقبة ، وقد ذهب رسول قريش ، ليرد الأسيرين .

(موسيقى)

الرواية : وعاد الأسيران ، وأذن النبي للقرشيين أن يعودوا إلى مكة ، ولكن أحدهما وهو الحكم بن كسيان قال :
الحكم : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنت يا محمد رسول الله ، إنى هنا مقيم .. الإسلام مرتعى وإيماني وولدى ووطنى .. لقد أسلمت لله ، ولن أعود إلى الشرك أبدا .

الرواية : وأقام . وهكذا كانت سرية عبد الله بن جحش هي بداية الجهاد فى سبيل الله ، وكان السهم الذى أطلقه المسلمون فأصابوا به عمرو بن الحضرمي هو أول سهم أطلق فى سبيل الله ، وحين أنزل الله آياته عرف المسلمون أن الله قد أذن لهم أن يقاتلوا فى سبيله . أما قريش فقد اضطرب منها الأمن وتوفر فيها الغضب فيقول قائلهم :

صوت : ها قد بدأ محمد ينال ثأره .
آخر : إنها والله لمخجلة الدهور ، عار الأبد .. أيتعرض محمد وأصحابه لقوافلنا !؟

آخر : بل إنه يأبى أن يسلم لنا أسراه أو نسلم له أسرانا ، لقد أصبحت (رعوس فى السماء)

سييلهم إلى المدينة وهناك .

(موسيقى)

عبد الله : لقد غضب النبي من قتالنا .
الأول : أما لإرضائه من سبيل ؟
عبد الله : لقد أبى أن يأخذ الفىء ، وأراد أن يرد الأسيرين .
الأول : ولكن قريشا أسرت منا سعد بن أبي وقاص وعتبة بن عزوان .
عبد الله : ولكن هذا لم يشفع لنا ، حتى لقد عنف على الأصحاب والإخوان وما أدرى ما أنا فاعل .
الأول : اصبر يا أخى ، فوالله ما أردنا إلا وجه الله .
الآخر : لقد جلوت لكم الرأى فأبيتم أن تأخذوا به ، ولتزون غدا قريشا تهب إليكم برجالها ونسائها فلا يدفعها إلا الله .
عبد الله : والله إن غضب محمد لأشد رهبة من قريش ومن معها .
الآخر : لقد أترتها شعواء يا عبد الله .
صوت : (مناديا من بعيد) يا عبد الله بن جحش .. يا عبد الله بن جحش !!

عبد الله : لييك .
الصوت : بشراك .. بشراك .. لقد أنزل الله آيات ترفع عنك غضب النبي والصحاب .. آيات من عند الله يا عبد الله .. بشراك عبد الله بشراك :

عبد الله : الحمد لله .. هو وحده يعلم ، فله كان جهادى وما ابتغيت إلا وجهه .. قل الآيات يا أخى .. قلها بربك .

الصوت : بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿ يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام

شردمة محمد تناوشنا ونحن صاغرون .

آخر : نسيتم أننا عنفنا على محمد وهو بين ربوعنا ، حتى أرغمناه أن

يترك الديار هو وصحبه ويخرج عن مكة مهد صباحه ، ومراح شبابه ، ومأوى الأهل لأصحابه ، وكهف الأمن لذويهم .

صوت : لقد سفه آهتنا ، وسب عقولنا ، بل إنه لقد امتد بسبابه إلى آبائنا

وأجدادنا ورماهم بالغفلة والبله .

آخر : نسيت يا أخى أن آباءه هم آباؤك ، وأجداده هم أجدادك ،

ووالله ما أرى إلا أنه يقول رأيا فما استمعنا منه لرأى ، وإنما حزمنا أمرنا على شدة ، وجمعنا قواتنا على جهل .

الصوت : أراك اليوم تكاد تسلم يا أخى ، وما بعد العهد بهجوم محمد على

قافلتنا .

الأول : لا تحش ، فإن أبا سفيان لن يسكت إذا عرف أن محمدا يتربص

به .

الصوت : إن أموال قريش جميعها فى هذه القافلة ، لعلنا لم نسهم فى قافلة

مثلما أسهمنا فى هذه .

الأول : لا تحف ، فإن أبا سفيان سوف يعلم .

(موسيقى)

صوت : البدار أبا سفيان البدار .

أبو سفيان : ماذا ؟ مم البدار وإلى أين ؟

الصوت : البدار من محمد وأصحابه ، إلى مكة .

أبو سفيان : وماذا يريد محمد ؟

الصوت : لقد عرف أن قافلة فى الطريق ، فهياً لك من رجاله جيشا جعل

له قافلته غنيمة .

أبو سفيان : أنصح نحن غنيمة لمحمد !؟

الصوت : لا تستهن أبا سفيان ، إنها نفوس أيبة مسها منكم الأذى

الشديد ، فاحذر النفس الأبية إن رامت انتقاما .

أبو سفيان : فالبدار أنت البدار .

الصوت : إلى أين ؟

أبو سفيان : إلى مكة .. إلى مكة .. أندب رجالها .. أبلغ قريشا .

(موسيقى)

الصوت : اللطيمة ، اللطيمة !

صوت : (لمن كانوا يتحدثون) هذا ضمضم بن عمر الغفارى ، وقد شق

قميصه من قُبُل .

ضمضم : يا آل قريش ... الغوث الغوث .

أصوات : ماذا بك يا ضمضم ؟

ضمضم : أموالكم مع أبى سفيان قد عرض لها محمد فى أصحابه ،

فأدركوها أدركوها ... الغوث ، الغوث .

أبو جهل : فهلم يا معشر قريش ... والله لنؤدبن محمدا وأصحابه أدبا يتسامع

به العرب جميعا .

صوت : على رسلك أبا جهل ، فإنها الأمور الكبرى !!

أبو جهل : وأنا لها .

الصوت : لقد والله ظلمنا محمدا وأصحابه ، فانقض قرارهم ، فهم لاجئون

إلى الأحباش حيناً ، أو إلى أهل المدينة حيناً آخر .

أبو جهل : أنترك تجارتنا إذن يعدو عليها محمد ، ويسمع العرب أن قريشا

هان العزيز من أمرها ، ومال الرفيع من ركنها ؟ تخاذلت يا أخوا

العرب ، وما نحن بمتخاذلين !؟

الصوت : إنها أحدىثة يرمى بها فرد من الناس لا نعرف مقدار صدقه .

ضمضم : إنه الصدق ما أقول .

الصوت : فهل رأيت رجال محمد رأى العين ، أم هى الأنباء يرمى بها نفر منكم إلى آخر ؟

ضمضم : (مترددا) إنها أنباء ولكنها صادقة .

أبو جهل : لبيك إذن لبيك .. إنا لسائرون .

الصوت : نسيت شيئا يا أبا جهل .

أبو جهل : إني ماش ومن شاء فليتبغنى .

الصوت : إن بنى كنانة يتزقون بنا الفرصة ، فإن نحن نفرنا إلى محمد خلا الطريق لهم ، فأصابوا ثأرهم .

أبو جهل : (فى شىء من التخاذل) لعلك على حق يا أحمى .. لعلك فى هذا محق .

صوت : بل سبيلك فامض يا أبا جهل .

أبو جهل : من ؟ ... مالك بن جعشم المدلجى .

مالك : إنه أنا ... سبيلك فامض ، فما كنا لننال الثأر من قوم يفرون عن ديارهم ، ما كنا لننال الثأر والربوع منكم خالية .

أبو جهل : إنك من أشراف كنانة ، وإنا لنقبل منك الوعد ، واثقين أنه الحق .

مالك : وإنه الحق .. فقد سفه محمد آهتنا ، وإنا لنخشى أن يصيبنا منه شر بعد أن يصيبكم ، فلا تخشوا ثأر كنانة وامضوا أنتم إلى ثأر أنفسكم .

أبو جهل : فإلى معشر قريش .. إلى .. إلى .

الراوي : ونفرت قريش بحقدتها وذهوها لم يبق منها رجل أو فتى ، بل

بقي منها واحد .. هو أمية بن خلف ، لم يقم إلى الحرب فقد كان ثقل جسمه يمنعه عن القيام فقعده ، فأثاره نفر من قريش فى مجلسه وأخذوا يقولون له :

صوت : هاك أمية ، هاك بجمرة وبخور ، تصلح للنساء فهى لك ، وهل أنت إلا من النساء أمية .

آخر : بل هاك مكحلة فاكتحل ، فإنما أنت امرأة .

الراوي : ولم يجد أمية بدا من القيام فقام .. وذهبت قريش للقاء محمد وقد خيل لأفرادها أن النصر عالق بخوافر خيلهم ، وسقيم خيلانهم ، يغشى الحقد على عيونهم فهو العمى ، وعلى أفئدتهم فهو الظلام ، وعلى نفوسهم فهى السخيمة . وكان محمد - عليه الصلاة والسلام - قد خرج فى أصحابه من المدينة فى اليوم الثامن من شهر رمضان . عدته إيمان يعمر قلوب أصحابه ، وغضب يملأ نفوسهم من أولئك العتاة الذين أجلوهم عن ديارهم .. وكان عدد رجاله ثلاثمائة وخمسة رجال .. وفى الطريق جاءت أنباء قريش إلى النبى .

صوت : يا رسول الله ، لقد خرجت قريش بقضها وقضيضها لتدافع عن قافلة أبى سفيان .

الراوي : إذن فهى قريش جميعها .. فكيف يلقاها النبى بهذه القلة من الناس ويفكر النبى - عليه الصلاة والسلام - فى العودة ويشير أصحابه فيقولون :

آخر : والله يا رسول الله لئن عدت لتطمعن فينا قريشا ، ولنصبحن أحدىثة بين العرب .

آخر : يا نبى الله ، إنها الحرب إنا لها لصامدون .. هلم .

آخر : يا رسول الله ، امض بنا أراك الله الهدى فنحن معك ، والله لا نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى ، اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون ، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون .

الراوي : كان هؤلاء الذين أبانوا عن رأيهم من المهاجرين ، وكان النبي يريد رأى الأنصار .. فالمهاجرون يدفعهم إلى القتال إيمانهم وما أصابتهم به قريش من أذى .. أما الأنصار فإيمانهم وحده .. فالنبي يسأل القوم مرة أخرى قائلاً أشيروا على أيها الناس .. فأحس سعد بن معاذ عميد الأنصار أن النبي يقصد رأيهم .. فهو يقول :

سعد : لكأنك تريدنا يا رسول الله . لقد آمننا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهدنا ومواثيقنا على السمع والطاعة ، فامض لما أردت فنحن معك ، فوالذى بعثك لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ، وما تخلف منا رجل واحد .. وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا .. إنا لصبر في الحرب .. صدق في اللقاء .. لعل الله يريك منا ما تقر به عيناك فسر بنا على بركة الله .

الراوي : وأشرق وجه النبي ، وهو يرى الإخلاص حوله سياجا ، والإيمان يحيط به حائطا منيعا ، فقال عليه الصلاة والسلام : « سيروا وأبشروا فإن الله وعدنى إحدى الطائفتين » وسار الإسلام .

(موسيقى)

صوت : لقد سمعت أن قافلة قريش مضت في طريقها .

آخر : فنلك إذن إحدى الطائفتين ، وبقيت الطائفة الأخرى ، طائفة البغي والظلم والجور .

الأول : ولكنها أيضا طائفة جرداء لا مال لديها ولا مطمع فيها .

الثاني : أو نحارب من أجل المال يا أخى ؟ .. إنه الإسلام ما نحارب له ، وإنه الدين ما ندافع عنه ، وإنه النبي ما نبذل حوله الأرواح .

الأول : إنها مهمة تدور بين بعض الناس .

الثاني : لا والله ، ما كانت هذه المهمة لتنبع من نفوس المسلمين ، إنها همسات اليهود والمنافقين ، فحذار حذار أن تعيدها .

صوت : بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ﴾ .

(موسيقى)

الراوي : وعرفت قريش أن قافلة تجارتهم قد نجت من محمد ، وأن أبا سفيان قد أخذ طريقه إلى مكة فأراد بعضهم العودة .

صوت : فما أصبح لنا فى القتال أرب ولا فائدة ، وقد نجأ أبو سفيان بتجارته .

أبو جهل : لا والله ، لا نرجع حتى نرد بدرًا ، فنقيم عليه ثلاثة أيام ننحر الجزور ونطعم الطعام ونسقى الخمر وتعزف علينا القيان وتسمع بنا العرب ويمسرون ويمجمعنا فلا يزالون يهابوننا أبدا بعدها .

(صوت حوافر حصان)

أبو جهل : من القادم ؟

- صوت : إنه قابل من قبل مكة (يقترَب صوت الخوافر جدا ثم ينقطع) .
صوت : إني رسول أبي سفيان إليك .
أبو جهل : وماذا يريد ؟
الصوت : إنه يقول إنكم خرجتم ، لتمنعوا غيركم ورجالكم وأموالكم ،
وقد نجت فارجعوا .
أبو جهل : لا والله ، لا نرجع حتى نرد بدرنا فنقيم .
(موسيقى)
الراويّة : وكالفراشة الحمقاء تلوب حول موتها ، اندفع أبو جهل إلى بدر
وكان النبي قد نزل عند بئر بدر ، وقد أراد عليه الصلاة
والسلام أن ينزل عند أول ماء بدر ، وكان الحباب بن المنذر
على خبيرة بالمكان والحرب فهو يسأل النبي :
الحباب : يا رسول الله ، أ رأيت هذا منزلا أنزله لك الله ، فليس لنا أن
نتقدمه ولا نتأخر عنه ، أم هو الرأى والحرب والمكيدة ؟
الراويّة : فقال عليه الصلاة والسلام : « بل هو الرأى والحرب
والمكيدة » .
الحباب : يا رسول الله ، فإن هذا ليس بمنزل ، فانهض بالناس حتى نأتى
أقرب ماء من قريش فننزل ، ثم نكسبه بالتراب فينضب ماؤه ، ثم
نبنى حوضا فنملؤه ماء ، ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون .
الراويّة : وما محمد إلا بشر من البشر ، يشير فيشار فيقبل المشورة ، وقد
قبلها عليه الصلاة والسلام .
أبو جهل : أرسلوا إلى أصحاب محمد يتقصى أنباءهم ويخبرنا عنهم .

- صوت : إني ذاهب .
(موسيقى)
الراويّة : وأرسل النبي من يعرفكم بعيرا تنحر قريش في اليوم ، فقال
قائل :
صوت : إني ذاهب .
(موسيقى)
الصوت : (القرشي) إنهم ثلاثمائة يزيدون قليلا أو ينقصون قليلا .
أبو جهل : فهو النصر المؤزر .
عتبة : يا معشر قريش : إنكم والله تصنعون بأن تلقوا محمدا وأصحابه
شيئا ، والله لئن أصبتموه لا يزال الرجل منكم ينظر في وجه
رجل قتل ابن عمه أو ابن خاله أو رجلا من عشيرته ، فارجعوا
وخلوا بين محمد وسائر العرب ، فإن أصابوه ذلك الذى أردتم ،
وإن كان غير ذلك لم تتعرضوا منه لما تكرهون .
أبو جهل : جنت واللات وأردت الحكمة .. أنترك دم عمرو مرقا لا نشأر
له ، هيه يا عامر بن الخضرمى ألا تطلب نار أخيك ؟
صوت : وا عمراه !
(موسيقى)
الراويّة : وقال سعد بن معاذ للنبي :
سعد : يا نبي الله ، نبني لك عريشا تكون فيه ونعد عندك ركابتك ، ثم
نلقى عدونا فإن أعزنا الله وأظهرنا على عدونا كان ذلك
ما أحببنا ، وإن كانت الأخرى جلست على ركابتك فلحقت بمن

وراءنا من قومنا ، وقد تخلف عنك أقوام يا نبي الله ما نحن بأشد لك حبا منهم .. ولو ظنوا أنك تلقى حربا ما تخلفوا عنك .. يمنحك الله بهم يناصحونك ويجاهدون معك .

(موسيقى عنيفة)

الراوية : واندلعت الحرب بين إيمان وزهو ، بين دين وكبر ، بين نبي وظالمين ، بين الله والشيطان ، وراح النبي يدعو في عريشه قائلا : « اللهم هذه قريش قد أتت بخيلائها تحاول أن تذب رسولك ، اللهم فنصرك الذي وعدتني .. اللهم إن تهلك هذه العصاة فلن تعبد بعد اليوم » فيقول له أبو بكر وهو يعيد رداءه إلى كتفه : « يا نبي الله ، بعض مناشدتك ربك فإن الله منجز لك ما وعدك » فيقول النبي : « والذي نفسى بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر إلا أدخله الله الجنة » .

(ثم تخفت الموسيقى قليلا وتظل مصاحبة للمشهد)

(موسيقى عنيفة)

الراوية : واندفع المسلمون إلى القتال يذودون عن دينهم ، ويردون العذاب الذي لاقوه ويرسون الأساس الأول لفتح الله ، إنه الفتح الأول ، وإنه دين الله .. ونزلت الآياتان : ﴿ يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون * الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم

ضعفا فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين ، وإن يكن منكم ألف يغلبوا إلفين بإذن الله والله مع الصابرين ﴿ واطمأن النبي إلى النصر ، واطمأن المسلمون .. وأخذ النبي يسير بين خيالة الكفر يمسك بالحصى ، ويرمى به فى وجوههم : « شاهت الوجوه » وشاهت الوجوه ، وانخذل الكفار ، وعاد زهوهم ضيعة وكبرهم انكسارا ، وكيف لا ينهزمون والله يقول : ﴿ فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ﴾ ؟ وكيف لا ينهزمون وسبحانه يقول : ﴿ إذ يوحى ربك إلى الملائكة أتى معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان ﴾ « صدق الله العظيم » .

* * *

الفصل الثاني عشر

« أصحاب الفيل »

(موسيقى عنيفة)

- صوت : سر .. وسر بنا معك .
- الراوي : ولكن عمر يرجع إلى خاصة مشورته فيقول عبد الرحمن بن عوف :
- عبد الرحمن : أقم وابعث جندا ، فقد رأيت قضاء الله لك في جنودك قبل وبعد ، فإنه إن يهزم جيشك ليس كهزيمتك . وإنك إن تُقتل أو تُهزم في أول الأمر خشيت ألا يكبر المسلمون وألا يشهدوا إلا إله إلا الله أبدا .
- الراوي : فجمع عمر المسلمين وخطبهم ، وكان مما قال : « يحق المسلمين أن يكونوا وأمرهم شورى بينهم ، وإنى إنما كنت كرجل منكم حتى صرفني ذوو الرأي منكم عن الخروج . فقد رأيت أن أقيم وأن أبعث رجلا » . ثم أخذ عمر يستشير القوم فيمن يرسله . وبينما هم يتداولون الأسماء جاء خطاب إلى أمير المؤمنين من سعد بن أبي وقاص ، فإذا أحد الجالسين يقول :
- صوت : قد وجدت الرجل يا أمير المؤمنين . إنه الأسد في برائته أول من رمى بسهم في سبيل الله ، فداه النبي بأبيه وأمه فقال : « ارم سعد فذاك أبي وأمي » ..
- رجل يقول : إن يوما أتى عليه فكان ثلث الإسلام ، فهو ثالث ثلاثة أسلموا . إنه الرجل يا أمير المؤمنين سعد بن وهيب ، سعد بن أبي وقاص .
- الراوي : وأجمع الناس أمرهم على سعد بن أبي وقاص . وأرسل إليه عمر ابن الخطاب يستقدمه فقدم له : « يا سعد ، سعد بن وهيب ، لا يغرنك من الله أن قيل خال الرسول ﷺ وصاحبه ، فإن الله عز وجل لا يمحو السيئ بالسيئ ، ولكنه يمحو السيئ بالحسن ، وليس بين الله وبين أحد سبب إلا بطاعته . فالناس شريفهم

- الراوي : أرسل المشي إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يقول له :
- صوت : إلينا أمير المؤمنين . لقد اجتمع الفرس وأمروا عليهم يزدجرد بن شهريار بن كسرى وأخذوا يُكْتَبون الجيوش لحرب العرب . وثار أهل العراق بنا نحن المسلمين فاضطررنا إلى الانسحاب حتى شارفنا التخوم من الجزيرة . إلينا أمير المؤمنين .
- الراوي : خرج هذا الرجل من عند عمر ويده كتاب إلى عمال الأمير في بلاد العرب جميعها يقول فيه :
- الصوت : لا تدعوا أحداً له سلاح أو فرس أو نجدة أو رأى إلا انتخبتموه ثم وجهتموه إلى . والعجل العجل .
- الراوي : إنه عمر يأمر ، وإنهم عماله من يتلقون الأمر . فما هو إلا الطريق يقطعه الذاهب حتى ينفر القوم يلبون عمر .
- أصوات : لبيك أمير المؤمنين .. لبيك .
- الراوي : ويقول عمر .. والله لأضربن ملوك العجم بملوك العرب .
- أصوات : لبيك .. لبيك .
- الراوي : وخرج عمر بالناس حتى بلغ ماء صرار فعسكر به ، والناس لا يدرون إن كان عمر هو من سيقود الجيش أم أنه سيولى عليه من يراه . وعمر نفسه لا يقطع أمرا بغير مشورة فهو يسأل عامه الناس فيقول قائلهم :

وضعيفهم فى دين الله سواء يتفاضلون بالعافية ويدركون ما عنده بالطاعة . فانظر الأمر الذى رأيت النبى ﷺ يلزمه فالزمه .
وعليك بالصبر » . ثم عقد له لواء الجيش ، وانبعث سعد إلى العراق أميراً على جيش من أكبر الجيوش التى عرفتها العرب .
(موسيقى عنيفة)

صوت : أرى رجلاً يبدو على مبعده ، ثم تحجبه عنا الهضاب . أترأه يا أبا محجن ؟

أبو محجن : نعم ، إنى أراه .

الأول : ما أظنه إلا عيناً من الأعداء جاءت ترقبنا .

أبو محجن : أنتزكه ؟

الأول : بل لا بد لنا من إدراكه .

أبو محجن : يا أمير الجيش .. أرى رجلاً يرقبنا ويحرص على ألا نراه .

سعد : إنى أراه منذ أمد بعيد .

الأول : أنسكت عنه ؟

سعد : لا ، بل اتركوه حتى تنتهى هذه البروج .

الأول : وما شأن هذه البروج يا بن أبى وقاص ؟

سعد : إنها بروج العجم بنوها ليلقوا منها أعداءهم . ولكننى أراها حاوية لا أحد فيها .

الأول : ومن أين عرفت أنها حاوية ؟

سعد : لو كان فيها أحد ما أرسلوا إلينا هذا الرجل ليرقبنا .

أبو محجن : وماذا تراه يريد ؟

سعد : يريد أن يعرف عددنا وعدتنا .

أبو محجن : أنتزكه إذن ؟

سعد : لعله من المفيد لنا أن يعرف العجم عددنا .. فنحن ما نزال فى انتظار المدد ، وسوف يتضاعف عددنا . فلنترك العدو يعتقد أننا قلة حتى إذا باغتته مجتمعين بأضعاف ما انتظر من الجيوش ، انهارت منه القوة وسارع إلى الهزيمة .

الأول : فذاك أبى وأمى يا سعد .

سعد : بعض هذا يا أبا محجن .

أبو محجن : ولكن أنتزك هذا الرجل وشأنه حتى يبلغ مأمنه .. ما ضرنا لو أتينا به ليدلنا هو على عدد جيشه وعدته .

سعد : لقد أرسلت من يرقبهم يا أبا محجن ، ولكن يجب ألا نترك هذا الرجل دون أن نعرض له ، وإلا أدرك أننا نخدعه .

أبو محجن : فأنا له أيها الأمير .

سعد : أنت يا أبا محجن ؟ .. أحشى أن يخذلك بدنّ من الخمر فتفضى له بسر الجيش جميعاً .

أبو محجن : (ضاحكاً) أنا لا أشربها أيها الأمير .

سعد : أتقسم ؟

أبو محجن : لا أشربها إلا فى المساء .

سعد : أقسمت يا أبا محجن ، لو حملت إلى مخموراً فى هذه الحرب ، لأقمت عليك الحد وقيدتك فلا تحارب .

أبو محجن : لن أحمل إليك أيها الأمير . أطارده هذا الرقيب ؟

سعد : طارده ولا تمسك به .. اجعله يعتقد أنك تريد أن تأسره ولكن لا تفعل .. هلم .

(صوت حوافر خيل)

أبو محجن : لقد ذهب إلى معسكر أيها الأمير .. ولكن ..

سعد : ولكن ماذا ؟
أبو محجن : فى طريقى إليك رأيت كوكبة من الخيل قادمة إلينا .

سعد : فأعدوا لها .. أعرفت فيم قدمهم ؟

أبو محجن : لا ، ولكنى لم أر عليهم هيئة المحاريرين .

سعد : هل انضم إليهم الرقيب الذى كنت تطارده ؟

أبو محجن : لا ... إنه لم يرههم ... فقد طارده من طريق وعدت من طريق آخر فرأيتهم .

سعد : فاكمنوا لهم حتى إذا ظهروا ..

(موسيقى عنيفة وقعقة سيوف)

سعد : من أين أنتم ؟

صوت : من الحيرة .

سعد : ومن هذه التى تحملونها ؟

الصوت : إنها ابنة أمير من أمراء فارس فى طريقها إلى صاحب الحيرة .

سعد : أتعرف من نحن ؟

الصوت : أعرف ، ولكنى لم أتوقع أن تعسكروا هنا .

سعد : وله ؟

الصوت : إن الأنباء التى بلغتنا لم تقل إنكم ستمرون من هذا الطريق .

سعد : وكيف رأيت أنباءكم ؟

الصوت : رأيت جنودنا صرعى ، ورأيت أبطالنا أسرى . ورأيت الهول الآخذ

والبلاء المقيم ...

(صوت قهقهة تنتهى بصوت الراوية)

الراوية : وتسامع الفرس بما كان من أسر الأميرة ومن معها ، ومن فرار

القوة التى كانت تحف بها فألقى الذعر إلى نفوسهم . وأ

أميرهم يزدجرد يدعو إليه رستم أكبر قائد عرفته الفرس . حتى إذا مثل بين يديه :

يزدجرد : أرى العرب قد أرسلت إلينا جيشا لا قبل لنا به ، وما أرى بين قوادى من يطيق حربهم إلا أنت .

رستم : بقيت يا مولاي ، إنما الحرب تدبير وخديعة ، وقد تجدد من يجيل السيف مثلما أجيل ، ولكنك لن تجدد من يرسم الخطة كما أرسمها .

يزدجرد : ولكنهم أسروا ابنة مرزبان الحيرة وهم مقيمون بأبواننا ، لا نطيع حربهم . فإن لم تخرج إليهم أنت هزمتنا ... وفى هزيمتنا فناء للدولة الفارسية ، وانهار لصروح المجد التى أقامها الآباء والأجداد .

رستم : ولكنى إن هزمت أنا فقد الفارسيون ثقتهم بى ، وأنت فى حاجة إلى هذه الثقة ، وما يفيدك يا مولاي أن أخرج إليهم فأهزم ، فيكون فى هذه الهزيمة الفناء والدمار .

يزدجرد : ومتى تخرج إن لم تخرج اليوم ، والدولة مشرفة على الهلاك !؟

رستم : إن العرب سوف ترسل إليك الجيوش يتلو بعضها بعضا ، فلو أقمت هنا وهزم جيشنا فسأظل هنا لأدبر للحرب التى تليها ، أما لو خرجت اليوم وهزمت فهيئات لى أن أقود جيشا بعدها أبدا . فإن أنت أرسلتني يا مولاي فكأنى بك تلقى بقوتنا جميعها دفعة واحدة ، وإنك لتلقيا غير مضطر إلى ذلك ...

يزدجرد : 'ذا تريد أن تفعل ؟

رستم : - أن أرسل الجيوش بإمرة غيرى ، حتى إذا هزموا كنت أنا من ورائهم أهيبهم لهم المدد وأرسم الخطط وأنتظر العرب وأماكرهم حتى أهزمهم ..

يزدجرد : لا يا رستم ، أنا لا أرى رأيك .

- رستم : فمرني يا مولاي .
 يزدجرد : اخرج يا رستم ، ولكن أريدك أن تخرج مليئا بالثقة ، متحفزا للنصر .
 رستم : مولاي ، إن رستم في ميدان القتال يحارب عن تاريخه جميعا وعن دولته وعن ملكه . وإن رجلا هذا شأنه لا يمكن أن يضعف .
 يزدجرد : وحق النار المقدسة إنك الرجل يا رستم .. إلى الحرب أيها القائد .. في رعاية النار المقدسة .

(صوت جونج)

- سعد : في رعاية الله أيها الوفد الكريم .
 الرسول : وبقيت في رعايته يا سيدى الأمير .
 سعد : أعرفت إلى من توجه حديثك ؟
 الرسول : إلى يزدجرد .
 سعد : وتجاهل قائد جيشه رستم كأنك لا تسمع عنه .. ليكن حديثك إلى أميرهم . وأنتم أيها الإخوان دعوا الحديث لنعمان بن المقرن والمغيرة ابن شعبة والمعنى بن حارثة .

(جونج)

- الرسول : أين أميركم ؟
 صوت : وماذا تريدون منه ؟
 الرسول : نريد أن نلقاه .
 الصوت : ومن تكونون ؟
 الرسول : وقد من قبل سعد بن أبي وقاص أمير جيوش العرب .
 الصوت : فأنتم تريدون القائد رستم ؟
 الرسول : (ساخرا) القائد من ؟!

- الصوت : القائد رستم .
 الرسول : إنا لا نعرف القائد .. أنا أريد الأمير .
 الصوت : ولكننا لا نسمح لكم بلقائه .
 الرسول : إذن أعود طريقنا إلى جيشنا ، وموعدنا غدا .
 الصوت : فانتظرونا حتى أنظر في أمركم .
 الرسول : بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿ إنهم يكيّدون كيّدا * وأكيّد كيّدا * فمهمل الكافرين أمهلهم رويدا ﴾ .
 الصوت : تعال أيها الرسول .
 (أصوات خطوات)
 يزدجرد : أى حظ تعس رمى بكم إلى هذه البلاد ؟
 الرسول : إن الحظ التعس أيها الأمير محيط بكم ، إن أنتم لاقيتم العرب فى طريقهم إلى المجد والخلود والنصر .
 يزدجرد : أحب أيها الرجل ، ما الذى جاء بكم ؟ لعلكم قد غرتكم نفوسكم حين رأيتم تشاغلنا عنكم .
 الرسول : إن الله قد بعث فينا رسولا يحمل إلينا نوره وهده . وكنا مثلكم نعبد ما نصنع بأيدينا حتى أتاح الله لنا الهدى بعد الضلالة ، والنور بعد الظلمات ، فكفرنا بالأصنام وعبدنا الله مخلصين له الدين ، وأنتم ما تزالون على ضلالكم .
 يزدجرد : وما شأنكم بنا ؟
 الرسول : إن رسالة الحق لا بد لها أن تبلغ العالم أجمع . إن الله من أرسلها ونحن دعاة الحق نبصركم الرشد من أمركم ولا نفرض عليكم الإسلام ، وإنما نفرض عليكم أن تصغوا إلى دعوته ثم شأنكم بعد هذا .

يزدجرد : وماذا تبغون منا ؟

الرسول : إن أجبتم إلى ديننا ودخلتم فيه خلفنا فيكم كتاب الله ، وأقمناكم عليه على أن تحكموا بأحكامه ونرجع عنكم وشأنكم وبلادكم . وإن أبيتم فالجزية ، فإن أبيتم فالحرب .

يزدجرد : أنا لا أعلم أمة كانت أشقى ولا أقل عددا ولا أسوأ ذات بين منكم . وقد كنا نعتمد على القرى والضواحي لتحاربكم ونردكم على أعقابكم ، وما كنا لنغزوكم ، وما كنا نظن بكم الخبل إلى درجة أن تقدموا أنتم على غزونا . فإن كان عددكم كثر فلا يغرنكم كثرتة ، وإن كنتم جياعا فرضنا لكم قوتا حتى تخصب أرضكم ، وكسوناكم وملكنا عليكم ملكا يرفق بكم .

الرسول : إننا أيها الملك جياع ولا نملك إلا سيوفنا وخيولنا ، وخير ملبسنا ما تراه . ولكننا هنا في ملكك وأنت بين جندك وفوق إيوانك ندعوك فاحتر لنفسك طريقا : الإسلام أو الجزية أو الحرب .

يزدجرد : لولا أن الرسل لا تقتل لقتلتكم ولا شيء لكم عندي ، بل عندي لكم شيء .. أنت أيها الحارس ضع التراب على كتف أشرافهم . من أشرفكم ؟

صوت : (غير صوت الرسول) أنا أشرفهم .

يزدجرد : ضعوا التراب على كتفه ، واحمله إلى أميرك .

الصوت : والله لأحملنه إليه .. اطمئن أيها التراب ، إنك عائد إلى مقرك وقريبا ما تعود .

(موسيقى عنيفة)

سعد : لقد حملك مقاليد ملكه .. هي الحرب إذن . فالجهاد .. الجهاد أيها العرب .. الله يتاديكم .

أصوات : لبيه .

سعد : إن الله هو الحق لا شريك له في الملك وليس لقوله خلف ، وقد قال عز ثناؤه : ﴿ ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون ﴾ إن هذا ميراثكم وموعد ربكم ، وقد جاءكم هذا الجمع وأنتم وجوه العرب وخيار كل قبيلة وعز من وراءكم ، فإن تزهّدوا في الدنيا وترغبوا في الآخرة جمع الله لكم الدنيا والآخرة .

(موسيقى)

الراوية : إلا أن سعدا أصابه مرض عنيف ، فهو قعيد فراشه لا يطيق الركوب . ولكن هيهات ، فإن سعدا لا يقبل هذا القعود ، وإنما هو يشرف على الجند من شرفته ويأمر فيبلغ أمره إلى الجيوش . وقبل أن تبدأ المعركة حمل بعض الجنود أبا محجن الثقفي إلى سعد ابن أبي وقاص ، وكان أبو محجن مخمورا لا يستقيم .

سعد : فعلتها أبا محجن .

أبو محجن : ماذا فعلت يا مولاي ؟

سعد : شربت الخمر .. وآن لي أن أقيم عليك الحد . بل فاعل بك أكثر من هذا ، إنني محتجرك فلا تحارب . سأقيدك فلا تدخل المعركة .

ن : بربك يا سيدي افعل بي ما تريد . ضاعف الحد . افعل بي ما شئت ولكن لا تمنعني عن الحرب . حياتي هباء إن لم أحارب . بربك يا سعد ، بربك أيها الأمير .

بد : لقد أقسمت ، وهيهات أن أحنث .

و محجن : بحق سابقتي في الجهاد ، بحق جيوش سرنا فيها معا إلى النصر ، بحق الأيام الخوالي ، الحرب حياتي . إنها أملى في الغفران ، إنها رجائي

فى التوبة .

سعد : أقيموا عليه الحد .. وقيدوه .

أبو محجن : واسعداه !

سعد : (فى حزم) قيدوه .

الراوية : وبدأت الحرب ، وكانت الوطأة على العرب شديدة ، فقد أطلق

الفرس الفيلة تتقدم جيوشهم ، والعرب حائرون فهم قد عودوا

الحرب مع الرجال ولم يمارسوها مع الفيلة . الفيلة تسير فتفتك

وتدوس لا ترى السيف فتخشاه ، ولا تحس الحراب فتقيها . إنما

هى فيلة تسير فتقتل حيث تسير . وانتهى اليوم الأول والعرب لم

تنهزم ولكنها أيضا لم تنتصر . حتى إذا كان الصباح جاء المدد

واختفت الفيلة ، فقد تحطمت توابعها وعكف عليها بعض القوم

يصلحونها ، ودارت المعركة بين رجال ورجال أو هى بين إيمان

وإلحاد ، بين دعاة الله والحق وبين عباد النار ووقودها . ولكن

أبا محجن لا يحارب فهو يرسل إلى زوجة سعد أحد عبدانها ..

صوت : يسألك أبو محجن أن تفكى قيده ليمضى إلى المعركة ، حتى إذا

انتهت عاد إلى قيده . ويسألك أن تعبره بالقاء فرس سيدى سعد .

(موسيقى)

نفس الصوت : إنها ترفض ذلك يا أبا محجن .

أبو محجن : كفى حزنا أن ترتدى الخيل بالقنا وأترك مشدودا على وثاقي

إذا قمت عنانى الحديد وأغلقت مصاريع دونى قد تصم المناديا

وقد كنت ذا مال كثير وإخوة فقد تكونى واحدا لا أخا ليا

ولله عهد لا أخيس بعهدده لكن فرجت ألا أزور الحوانيا

الراوية : فلما سمعت زوج سعد شعره أرسلت إليه عبدها يقول :

الصوت : لقد استخارت سيدتى الله ورضيت بعهدك ، على أن تعود إلى القيد بعد المعركة .

الراوية : وانطلق أبو محجن إلى المعركة فى يومها الثانى وظلت المعركة

دائرة حتى أوغل الليل والعرب تزدق الفرس الأهوال ، وترد

إليهم ترابهم الذى حملوه موتا آخذا . ولكن النصر لا يتم وإنما

ما تزال بالفرس قوة عنيفة أبقتها عليهم كثرتهم ووجود رستم

على رأسهم . وينتهى اليوم الثانى ويعود أبو محجن إلى قيده وفيما

بعهد أخذه على نفسه لزوجة سعد وهو يسألها أن تفعل به فى

الغد مثلما فعلت اليوم فتقبل . وفى اليوم الثالث للمعركة تعود

الفيلة وترجع إلى ما كانت تفعله بالعرب ، ولكن سعدا يجد

وسيلة .

(جونج)

سعد : أريد بعض أسرانا من الفارسيين .

صوت : أمرك يا سيدى (صوت أقدام تنصرف)

سعد : أما ترى إلى هذه الفرس ؟

صوت : نعم .

سعد : إنها البلقاء .. وهذا الذى عليها .. لولا أننى حبست أبا محجن

لقلت إنه هو .. راكبا البلقاء .

الصوت : أراك محقا يا مولاي .

سعد : بربك إلا رقيت هذا الفارس فهو يجول بين الفرس وكأنه الإعصار

اللاهب ، فإذا انطلق إلى خضم المعركة فهو الريح .

صوت : (الذى ذهب لإحضار الأسرى) الأسرى يا سيدى .

سعد : أخبرنى أنت .. كيف تقتلون الفيلة ؟

الفصل الثالث عشر

« وامتصماه »

(موسيقى)

- صوت : (فى فزع) أين مولاي المعتصم ؟
آخر : وفيهم تريده ؟
الصوت : لا تكثر السؤال ، أين هو ؟
آخر : فى الديوان .
الصوت : تعال معى .

(موسيقى)

- الصوت : مولاي .
المعتصم : ماذا ؟
الصوت : لقد هاجمنا الروم .
المعتصم : ماذا تقول ؟
الصوت : تركتهم على حدود الدولة الإسلامية ، فقدمت إليك .
المعتصم : لقد غافلوا عيوننا عليهم ... ادع النفير .

(موسيقى)

- ملك الفرنج : (ضحك عال) ها قد بلغنا المقصد . والمعتصم ما يزال معتصماً بدياره .
الوزير : والله يا مولاي لو لم تكن غافلتهم لتعذرت هزيمتهم ، فإنهم لم يعرفوا الهزيمة أبداً .
ملك الفرنج : اليوم يعرفونها . ادع الجيش إلى الهجوم .

- الفارس : من مشافرها وعيونها .
سعد : (صائحا) مر بهم أن يضربوا الفيلة فى عيونها وفى مشافرها .
الراوية : وقتلت الفيلة فقد استهدف العرب مقاتلها فقتلوا بعضها . وحلا لأحد الفيلة أن يلقي بنفسه فى النهر فتبعته الفيلة الأخرى .
وخلص العرب إلى الفرس لا تمنعهم الحيوانات . ورأى العرب فى تخليصهم من الفيلة نصرا من الله مؤزرا . وكان النصر ، واستولى العرب على القادسية وما هو بجديد نصرهم ، فقد شاء ربك أن يهزم أصحاب الفيل دائما سبحانه .
* * *

- الوزير : وفيهم المهجوم يا مولاي ولا جيش أمامنا ؟ إنما هي مدينة لن نجد بها إلا الشباب قد ألقى سلاحه ، والمرأة تنتظر زوجها ، والرجل العجوز لزوم كسر بيته ، يروى عن الشباب الذاهب وينتظر الغذاء القادم .
- الملك : (ضاحكا) ستكون للشباب ألقى سلاحه ، وللمرأة تنتظر زوجها العائد ، وللعجوز يلتمس غداه السم الزعاف .
- الوزير : ألا نذرهم يا مولاي ؟
- الملك : أجننت ؟
- الوزير : فلا والله لست بهذا .. وإنما أخشى أن يكون انتقامهم بقدر الشر الذى نلقيه عليهم .
- الملك : مر الناس بالمهجوم ودع الغد للغد .. هلم .
- (صوت نفيق شديد وحوافر خيل)
- صوت : أترى إلى الجموع الزاحفة ؟
- آخر : إنها الموت الآخذ .
- آخر : ما رأيت كالיום جبانا .
- آخر : أجبان من يقول الحق ؟!
- آخر : جبان من يذكر الموت .. إننا نحارب فى سبيل حريتنا ، ولا يجزؤ الموت أن يصبو إلى من يدافع عن حريته .
- آخر : أرايت لو أن السيف قد احترم قلوبنا وترك أرواحنا الأجساد ، أليس هذا هو الموت ؟
- آخر : ذاك هو الحياة .. إنها الحرية ... من مات فى سبيلها وهبت له الحياة الخالدة ... (يرفع صوته) حى على الجهاد .
- (موسيقى قليلة)

- ملك الفرنج : أترى إلى المدينة ، ليخيل إلى أن جيشا يلاقينا .
- الوزير : لقد عرفوا بالمهجوم .
- ملك الفرنج : ويلي للخائن .
- الوزير : ما أحسبه إلا واحداً منهم ، وقد رأنا فأخبر أهله .
- الملك : الويل له منهم كان أو منا .
- الوزير : أتعاقب الرجل أن يخبر قومه عن جيش يغير على غرة ؟
- الملك : هيهات أن يجدى دفاعهم فتيلاً ، فما أحسب المعتصم قد علم عن قدومنا ، وما أحسبهم إلا قلة ضئيلة لن تثبت إلا ريثما تنهزم .
- الوزير : ما أحسب الأمر كذلك يا مولاي ، فإنهم يحاربون عن حريتهم ودينهم وما حارب عن هذين أحد إلا انتصر .
- الملك : أقدم فإنما النصر لمن أقدم .
- الوزير : إنما النصر لمن دافع عن الحق .
- الملك : أيهزمننا هؤلاء ؟
- الوزير : إن قلتهم ضئيلة ، وما إخالهم ينتصرون ، ولكننا سوف نخسر الكثير قبل أن نتصر .. وسيكون نصرنا يومذاك لكثرتنا الكثيرة ولقلتهم القليلة .
- الملك : إنه النصر وما يهم من بعد لمن يتم .. إلى القتال .
- (موسيقى عنيفة يتخللها صليل السيوف وصهيل الخيل تشتد شيئاً فشيئاً ثم تهدأ) .
- الملك : النصر لنا .
- صوت : لقد خسرننا من الرجال كثيراً .
- الملك : ولقد أسرننا منهم الكثير وقتلنا ... أعرضوا الأسرى .

- صوت : من بين الأسرى يا مولاي سيدة دافع عنها قوم دفاعا عنيفا
وما أحسبها إلا من السادة .
- الملك : هاتها .
- صوت : أمر مولاي .
- الوزير : ماذا أنت فاعل بها يا مولاي ؟
- الملك : سوف ترى .
- الوزير : ها قد جاءت .
- الملك : تقدمي يا امرأة .. من أنت ؟
- السيدة : هاجمت والليل أسود واتخذت الخداع وسيلة إلى الآمنين . ولو
قد أنذرتنا لرأيت الهزيمة كيف تكون ، ولكنك أنت اليوم أسير
يشار بك فتضرع ، ويوماً إليك فتخضع .
- الملك : إن لك لسانا يضمن لك الهلاك .
- السيدة : ويحك ! هل ثمة هلاك بعد هزيمة انصبت علينا وحرية فقدنا؟! .
- الملك : هناك الموت .
- السيدة : إن مثلك من يخشاه .. أما نحن فحريتنا حياتنا ، وليس بعد
فقدانها حياة .
- الملك : فأخبرينا يا امرأة من أنبأكم أنا قادمون ... وهل عرف
المعتصم ؟
- السيدة : أحيانة تريدني عليها ؟
- الملك : لقد صبرت على قول منك عنيف لتخبرينا ، فوالله إن لم تخبرى
لأجعلنك أمثلة بين قومك .
- السيدة : إن من يتخذ الليل ستاراً يروغ الآمنين من ورائه ، ليس غريب
عليه أن يهدد امرأة .

- الملك : إننى أعرف ما تهدفين إليه ، إنك تريدان أن تطيلى الحديث
حتى تسنحى الفرصة لجيش المعتصم أن يأتى ولن يكون هذا ..
أيها الوزير .
- الوزير : مولاي .
- الملك : مر القوم بالرحيل واصحب هذه المرأة معنا .. واقتل الأسرى
الآخرين .
- الوزير : (فى جزع) أقتل الأسرى؟! .
- الملك : نفذ ما أمرت به .
- الوزير : (فى استسلام) أمر مولاي .
- (موسيقى)
- الملك : إنك الآن فى القسطنطينية ، وإن بينها وبين المعتصم ما تعلمين
من صحراء واسعة وأيام طوال .. فقولى من وشى بنا
عندكم ... أهو منا أم هو منكم ؟ .
- السيدة : نحمد الله تعالى أن ولى أمرنا من جعلك تهرب هروب اللصوص .
- الملك : (فى غضب) اجلدوا المرأة حتى نخبرنا عن الواشى .
(صوت وقع السياط)
- (موسيقى)
- السيدة : وامعتصماه ... وامعتصماه .
- الملك : (ساخرًا ضاحكًا بشدة) سيوافيك على الخيل البلق .. (ضاحكًا)
أجل على الخيل البلق .
- صوت : وما الخيل البلق يا مولاي ؟
- الملك : هى الخيل السوداء خالطها البياض .. يزعم هؤلاء المسلمون أنهم
سيدخلون الجنة عليها .. (ضحك شديد) وهكذا سيأتى

المعتصم إلى هذه المرأة على الخيل البلق ، (ضحك) الخيل البلق .

(موسيقى)

صوت : وهكذا يا مولاي أخذ يسخر منها ، ثم ضحك ضحكاً شديداً حين قال إن المعتصم سيوافيها على الخيل البلق .

المعتصم : أمن هذا يسخر .. والله لأردن سخريته إلى صدره .. أذّنوا فى الناس كل من يملك فرساً أبلق فإن الخليفة يريد له يدافع عن الدين وعن الحرية وعن الكرامة .

الصوت : ألا تريد إلا الفرس الأبلق ؟

المعتصم : نعم والله لا أريد غير الفرس الأبلق ، والأبلق فقط .

(موسيقى)

المعتصم : كم تجمع لدينا من الخيل البلق ؟

صوت : تسعون ألفاً يا مولاي ، عليها الرجال ، أمامهم الموت فى سبيل الله .. هم طوع يمينك ..

المعتصم : حى على الجهاد .

أصوات : (كثيرة) حى على الجهاد .

(موسيقى)

الراوية : وعلى الخيل البلق انبثق المعتصم يلبى الصرخة التى انبعثت إليه من بلاد الروم .. إنها "وامعتصماه" أطلقتها المرأة من عند الفرنجة فهب لها خليفة الإسلام .. وإنها سخرية من ملك فاجر ردها خليفة الإسلام انتصافاً للحق واعتزازاً للمروءة .. وعلى الخيل البلق انتصر المعتصم ، وبالخيل البلق انهزم ملك الروم ، وعلى الخيل البلق عادت السيدة العربية .. لقد كانت هذه الخيل رجوع ندائها .. خلق عربى فى الشواهد العليا من

الخلق .. امرأة ضعيفة تأبى على الملك المنتصر أن يستل منها سرّاً .. وخليفة عربى يأبى أن يستصرخ فلا يجيب . فما هو إلا رجوع صدى الصرخة حتى يعود معها خليفة وجيش وخيل بلق .. فما لنا إذن غلف القلوب سراع إلى الزلل وقافون عن الخير ؟ وما لنا .. ما لنا لا نلقى إلى تلك القمم الساطعة نظرة تهدينا السبيل ؟ .. وما لنا لا نقتبس ضوءاً من شرفات التاريخ ؟ .

والله رأيت الناس يضربون أكباد الإبل من أقاصى الأرض يسألونه فى أمر من أمور دينهم ، فإذا هو يتدفق كالجداول العذب ، وإذا القوم يعودون .. ارتاحت نفوسهم إلى فتياه هادئة قلوبهم إلى علمه .

- أسامة : مبارك والله حجنا هذا العام يا أخى .
آخر : أرى عبد الله يأمرنا بالوقوف .
أسامة : فهلهم إليه نسرع الخطى عساه يريد أمراً .
(فترة صمت) .
أسامة : أوقفنا لشيء يا عبد الله ؟
عبد الله : بل رأيت الليل بهم بقدم ، وأخشى أن يدركننا فى مكان وعر ، وأرى هنا سهلاً ينبسط فكأنما هو أهلاً يقولها كريم .
أسامة : إننا فى طريقنا إلى بيت الله يا عبد الله ، وما أحسب الوعر إلا منبسطةً لنا .
عبد الله : إننى والله أحب الحديث الفرحان .. هكذا والله يكون المقبل على بيت الله .
أسامة : أتتابع سيرنا إذن ؟
عبد الله : لكم أحب يا أبا العرب أن نصل ليل طريقنا بنهاره سراعاً إلى بيت رفعه الله لتهدى إليه قلوبنا ، ولكننى أحمل عبء من معى .
أسامة : أنت على الحق دائماً .. يا بن العباس .. إنما ولاك القوم عليهم فأنت ترى لهم الخير وتثق به .
عبد الله : هو ما قلت يا أخى .. والآن أريدك أن تصحب بعض الرفاق وتبحث لنا عن مأكل فى هذا المكان أو مشرب .
أسامة : هلم يا رفاق .. هلم يا زيد .. هلم يا جابر .. هلم يا ..
(موسيقى قصيرة)

الفصل الرابع عشر

« ضيف وأبناء »

- صوت : مبارك والله حجنا هذا العام يا أسامة .
أسامة : مبارك إن شاء الله . فوالله ما تمنيت من حياتى حجة خيراً من هذه .
نحمدك اللهم .. لقد هيات لنا أن نهفو إلى بيتك الكريم على رأسنا ابن عم نبيك .
الصوت : وأى عم من أعمام نبيه !.. إنه العباس فتى العرب وسيفهم .. وإنه من وقف النبى على جثته يوم مات يبكيه فيوغل فى البكاء .. ثم هو عليه الصلاة والسلام يذكر الخير الذى هبى له فى الحياة الأخرى .. فتمس قلبه خفقة من راحة .
أسامة : ثم هو يذكر بكاءه الذى كان فيعزوه إلى شوق سليم به أن فارقه عمه .. فهو إنما يبكى من الشوق ولا حزن .. نعم والله .. لقد كان العباس درع النبى وسيفه وصاحبه حين أشرق الحق على النبى فأمر بالدعوة .
الصوت : لم يكن العباس قد أسلم بعد ، ولكنه كان حرباً على أعداء النبى ، سيفاً عليهم لا يلين .
أسامة : ثم أذن الله فأشرق نور الإسلام فى نفس العباس ، فكان مجداً للإسلام وعزاً ، ذكرنا العباس — أخى — وفضله وسابقته فى الإسلام ، ونسينا والله فضل هذا الذى يحج بنا فى عامنا هذا .
الصوت : أو مثل هذا ينسى ؟! إنه عبد الله بن العباس ، الأصيل ابن الأصيل .
أسامة : بل قل أعلم من عرفه العرب ، وأفقه المسلمين بشئون دينهم .. لقد

- أسامة : بحثنا حولينا فما وجدنا مأكلاً ، وإن كنا وجدنا عينا جارية .
 عبد الله : أتجدون عين الماء ولا تجدون حولها مأكلاً؟!
 أسامة : إنما هي ساعة غروب ، رَوَّحَ فيها رعيان ونام سامريه .
 عبد الله : فهلا ذهبتم إلى هذا المرعى القريب ، لعلكم تجدون به راعياً أو خيمة .
 أسامة : نفعل يا سيدى .
 (موسيقى قصيرة)
 أسامة : ها قد بدت لنا خيمة .
 آخر : وإن بها لنوراً .
 آخر : يا صاحب الخيمة .
 صوت : (سيدة عجوز) لبيك يا من ناديت .
 أسامة : السلام عليك يا أم .
 السيدة : وعليك السلام يا بنى ورحمة الله .
 أسامة : أعندك طعام نشتره ؟
 السيدة : أما للبيع فلا .. ولكن عندى ما يكفينى أنا وأبنائى .
 أسامة : وأين بنوك ؟
 السيدة : يرعون قطيعهم ... وها قد حان موعد أوتبهم .
 أسامة : وما أعددت لهم ؟
 السيدة : خبزاً .
 أسامة : أوليس عندهك شىء آخر ؟
 السيدة : لا .
 أسامة : فنحن ضيف نزلنا على العين ، فإن جدت لنا ببعض الخبز حمدن وإن كنا نكلفك من أمرك عنتاً .

- السيدة : أما أن أجود ببعض فلا ، وأما الكل فخذوه ... هاكم الخبز جميعه .
 أسامة : تمنعين البعض وتجودين بالكل؟!
 السيدة : أنا أمتنع ما ينال من كرامتى ، وأمنح ما يرفعنى .
 (موسيقى)
 صوت : السلام عليك يا أماه .
 الأم : مرحباً بالأبناء .. أين تركتم القطيع ؟
 الصوت : قريباً ها هنا .. نحن جياع يا أماه ، فهلم خبزك هلم .
 الأم : لا خبز عندى لكم .
 الصوت : أغاضبة علينا ؟
 الأم : بل إنى أكرمتكم غاية الإكرام .
 الصوت : فأنت إذن قد صنعت لنا خبيصاً من اللبن والتمر ؟
 الأم : عجبت لك .. ألا تفكر فى غير المأكول ؟
 الصوت : جوعان يا أمى والله جوعان ، وأخوای جوعانان ألسنا كذلك ؟
 (موسيقى)
 صوتان : جياع .. جياع .
 الأم : كلوا الرمال إذن ، فليس عندى خبز .
 الصوت : هو الخبيص إذن .
 الأم : يا لك من شاعر !
 الصوت : أقلت شاعر ؟
 الأم : شاعر .. لا شك .. فإنه خيال ذلك الذى يهيئه لك جوعك . أتأكل أنت الخبيص وأنت فى عرض الصحراء لا تملك موقداً . بل إنك لتعلم أنتى أصنع لك الخبز على الرمال الملتهبة .
 الصوت : فماذا صنعت لنا إذن ؟

(موسيقى)

- أسامة : هكذا والله يابن العباس .. لقد أبست المرأة إلا أن تهب لنا كل ما صنعتته من خبز بنيتها .. أعطته لنا جميعه ، ثم هى لم تسأل من أنتم .. فما عرفت عنا إلا أننا قوم طلبنا فأعطت .
- عبد الله : ولقد أعطت الكثير .. إنه قوتها وقوت أبنائها .
- أسامة : ألا نزورها يا عبد الله ؟
- عبد الله : لكم أتوق إلى هذا ، ولكنى أخشى أن أزورها فلا تجد عندها ما تكرم به ضيفها ، فيصيبها حجل لا أحب أن يصيبها ولكن ..
- أسامة : (مقاطعا) ندعوها إليك .
- عبد الله : هكذا والله أحب أن تفعلوا .. قوموا لها .

(موسيقى)

- الأم : بهذا أيها الأولاد أكرمتكم .. لم يكن الخبيص صنعتته لكم ، وإنما صنعت لكم أكرومة ترضى منكم نفوسا ، وإن أغضبت فيكم بطونا . هكذا أحب أن أسمعك يا بنى .
- الابن : لعلك لم تسألى القوم من هم ، ومن أين ، وإلى أين ؟
- الأم : ما كنت لأفعل هذا يا بنى ..
- الابن : وما الضير يا أماه ؟
- الأم : لعلهم كرام مشاهير فى العرب . فيظنون أننى إنما أجيء ما يطلبون طمعا فى خير منهم أو تقربا لأسمائهم .
- الابن : فإن كانوا فقراء مهازيل ؟
- الأم : فقد وجبت الصدقة إذن .
- صوت : (أسامة يأتى من الخارج) يا صاحبة المعروف .
- الأم : إياى تقصد يا صاحب الصوت ؟

- أسامة : السلام عليك ورحمة الله .
- الأم : مرحبًا بالضيف .. هؤلاء أولادى وقد عادوا من المرعى .
- أسامة : أهلاً بأولاد الكريمة .. ما أرى إلا أننا حرمتناكم طعامكم منذ الليلة .
- الابن : هنيئاً لكم أيها الضيوف .
- أسامة : قدمنا ورجاؤنا أن تجيئوا لنا رجاء .
- الأم : إن كان فى الطوق .
- أسامة : إننا قوم من المدينة خرجنا نريد الحج ، وعلى رأسنا علم من أعلام الإسلام قصصت عليه ما كان من برك بنا ، فأراد أن يراك ويرى أولادك .
- الأم : ومن صاحبكم ؟
- أسامة : عبد الله بن العباس .
- الأم : وربك هذا الشرف الأعلى .. هلم بنا .
- (موسيقى)
- عبد الله : مرحبًا بالكرام .
- الأم : مرحى بك .. ابن العباس .
- عبد الله : ممن أنت يا خالة ؟
- الأم : من بنى كلب .
- عبد الله : وكيف حالك ؟
- الأم : آكل الخبز ، وقد صنعتته على الحجر بغير موقد ، ثم أنا لا أكثر . وأشرب الماء من عين صافية فإذا نفسى فى الصفاء كالماء .. وإذا بى أنام والهموم لا تعرف إلى سبيلاً .
- عبد الله : الحمد لله .. أعرفت فيما طلبت أن أراك ؟
- الأم : لا والله .. إنما قيل لى عبد الله بن العباس فحثت إليك الخطى ،

الفصل الخامس عشر

« ستار الخير »

- الزوجة : لقد أبعدت فى الغيبة يا مولاي ، ولم ترسل إلينا من لدنك رسولا ، فأهلا فى منزلك وطاب يوم عدت فيه .
- الأمير : (حزيناً) ها قد عدت يا سامية ، فقد شغلتنى عنك الحرب .
- الزوجة : يا مولاي إنها الحرب ، فإن تكن اليوم قد أدبرت فإنها فى غد مقبلة ، وما أقرب الغد من اليوم .. وإنك لفارسها وفتاها .. وإنك لسيفها و..
- الأمير : (مقاطعاً) ماذا بك يا سامية .. أتظنين بى الهزيمة ؟
- الزوجة : فماذا تريدنى أن أظن بهذا الوجه المقطب ، وذلك الجبين المغضن ، وهاتين العينين الكابيتين ؟
- الأمير : لم تكن هزيمة ما أحاقت بنا .
- الزوجة : فهى الخيانة إذن أدت بكم إلى الهزيمة .
- الأمير : بربك يا سامية .. لقد انتصرنا .
- الزوجة : ماذا تقول ؟
- الأمير : لقد انتصرنا نصرًا حاسمًا .
- الزوجة : انتصرتم ؟ .. فما لك إذن وقد اربد وجهك وعلا الحزن نفسك ... بل مالك تلقى إلى بخر النصر وكأنا كنت ترجو الهزيمة .. سعيد .. أخاف .. ولكن لا .. لست أنت ما يفعلها ..
- الأمير : ماذا تخافين ؟
- الزوجة : أخاف أن يكون النصر ثمنًا لكرامة مهدره أو خديعة شائنة ..

ويسبقنى الشوق إلى رؤية ابن عم رسول الله ، وأعلم العرب ، وأفقه الناس بالدين الحق .

- عبد الله : إنما أردت أن أكرم إكرامك وأكافئك عليه .
- الأم : والله لو كان ما فعلته معروفًا ، فما كنت لأخذ عنه بدلاً .. فكيف وهو شىء يجب أن يشارك الناس بعضهم بعضًا فيه .
- عبد الله : وماذا فعلت لبنيك حين عادوا جياغًا ؟
- الأم : يا بن العباس .. لقد عظمت عندك خبزتى حتى أكثرت فيها الكلام .. أشغل فكرك عن هذا فإنه يفسد المروءة .
- عبد الله : وأنتم أيها البنون .
- الابن : لبيك .
- عبد الله : أحب أن أساعدك بالمال ؟
- الابن : نحن نعيش على الكفاف ، فوجه مالك إلى من لا عيش له .
- الأم : بوركت يا فتى .
- عبد الله : بوركنم جميعًا .
- المديع : وأبى الابن ، وعزفت المرأة أن يصيبهم خير لقاء واجب يؤدونه .. خلق عربى أشم يعلو فيصعد إلى السماء .. وهناك يلقى المكافأة والجزاء . فما لنا لا ننظر لغير الأرض ، وما لنا نبتغى النفع العاجل على غير عمل مقدمه ، وما لنا نبخل حتى لنكاد نخلق أنفسنا بأيدينا .. لو أننا نظرنا التاريخ ..
- (موسيقى)

- الأمير : ويحك يا سامية لقد أبعدت بك الظنون .. انظري ببرك أى رجل
ذاك الذى تلقين إليه الحديث .
- الزوجة : رجل هو الرجولة .. إنه الأمير سعيد ..
- الأمير : فمالك تسيئين الظن ؟
- الزوجة : وماذا تريدنى أن أظن وأنت على حالك هذا من الحزن والألم ؟ ..
- الأمير : لقد فجعت والله وأنا أتلقى أبناء النصر .
- الزوجة : فذاك نفسى أيها الزوج - بماذا فجعت ؟
- الأمير : انهزم الأعداء وولوا الأدبار ، وتلفت يا سامية أبحث عن صديقى
تمام القضاعى فقبل لى إنه مات ..
- الزوجة : إن الذاهب إلى الحرب - أيها الأمير - إنما يضعها حياة - على سن
سيف ، فإما نصره وحياة ، وإما ميتة فى سبيل النصر .
- الأمير : فوربك ما حزنت لموته ، وإنما هو ذو عائلة وأولاده صغار . وقد
كان الرجل عفيفا لم يترك لزوجته ما يقيم أود الحياة لعائلته ؟
- الزوجة : هون عليك أيها الأمير .. ألا فلتقم أنت أود الحياة .
- الأمير : وددت والله لو كان ذلك ولكننى لم أستطع .
- الزوجة : كيف ؟
- الأمير : لم أطق أن أعود إليك قبل أن أذهب إلى دار صديقى فذهبت ..
- الرواية : وكان الأمير قد ذهب فعلا إلى دار صديقه الشهيد وطرق الباب
فعاجلت إليه الزوجة التى أصبحت أرملة .
- صوت السيدة : مرحبا تماما .. على الطائر الميمون عدت إلى زوجتك (تفتح
الباب) من .. مولاي .. أين تمام ؟
- الأمير : على رسلك يا عفراء .. إنه ..

- عفراء : إلى جنة الخلد يا تمام .
- الأمير : هونى عليك يا عفراء .
- عفراء : إن كان إلى تهوين من سبيل يا مولاي ، فهو ثقتى أنه لاقى ربه
راضيا مرضيا ... بذل حياته فى سبيل ربه ، فله أجر الشهداء
والصديقين .
- الأمير : ألا من دمعة تريح بعض ما بك ؟
- عفراء : لكم أتوق إلى تلك الدمعة يا مولاي ، ولكن هيهات .. فيأنى
لأخشى إن أنا ذرقتها أن تغضب تماما وما عودت أن أغضبه .
- الأمير : فالله لنا فى فقده يا أخت .
- عفراء : إنه لنا دائما يا مولاي .. لن يرضى الله إلا الخير لقوم اختار
عمادهم إلى جواره ، واصطفاه إلى سمائه ، وارتضاه فى جنات نعيم
بجاهدا فى سبيله فى الدنيا ، طامحا إلى رضاه فى الآخرة .
- الأمير : نعمت الزوجة أنت يا عفراء ونعمت المرأة .
- عفراء : ما أنا يا مولاي إلا قبسة من تمام ، وقد كان والله رجلا عميق
الإيمان ، صادق المروءة ، كريم الطريق ، نبيل المقصد .
- الأمير : أجل والله لقد كان كذلك .. عفراء .. لقد استودعنى تمام أمانة
وقد حان موعد ردها .
- عفراء : أية أمانة يا مولاي ؟
- الأمير : قد كان يملك قطعة صغيرة من أرض باعها ، ثم هو قد طلب إلى أن
أبقى ثمنها عندى ، حتى يشتري قطعة أخرى لكم .
- عفراء : الله جارك يا مولاي .. أتخادعنى عن نفسى ؟ .. فلا وربك لم يكن
لتمام قطعة من بستان صغيرة أو كبيرة ، ولا وربك لم يبع تمام
شيئا ، ولا وربك ما كنت لأقبل ثمن زوجى فإنك لا تطيق وإن

- كنت الأمير أن تؤدى الثمن .
- الأمير : بربك يا عفراء إلا أتحت لى هذا الخير .. فيانى لأدرى أن تماما لا يملك شيئا وإنى لأخشى عليكم عاديات الزمان ، فما ضر لو استعنتم على الزمن بى .
- عفراء : إننا نحن المدينون يا مولاي ، لقد أتحت لرجلنا أن يلاقى ربه مستشهدا .. وهيهات هيهات أن تقبل ثمن الخير الذى أصاب صاحبنا .. لقد استشهد فى سبيل الله ، ولن أفسد استشهاده بمال أقبله منك .
- الأمير : ولكن للزمن غدره ولا يقبل منها إلا المال .
- عفراء : إن للزمن غدره ولا يقبل منها إلا الله .. وإنه معنا .
- الأمير : بربك يا عفراء إلا قبلت ؟
- عفراء : بربك يا مولاي إلا أقلت ؟
- الأمير : لقد حملتني من أمرى عبثا .
- عفراء : حتى لا أحمل من أمرى عنتا .
- الأمير : فوداعا يا عفراء .
- عفراء : وداعا يا مولاي .
- الراوى : وسمعت زوج الأمير حديث زوجها .. فهى تقول له :
- الزوجة : لقد والله باركت روح زوجها فكأنا استشهد مرتين .
- الأمير : لقد استشهد فى كل مرة عف فيها عن المال ، وفى كل مرة رفضت فيها الزوجة أن تقبل .
- الزوجة : إلى رحمة الله يا تمام .. وأصبرك الله يا عفراء .
- الأمير : وهكذا يا سامية ، لست أدري ما أنا فاعل .
- الزوجة : خبرتني يا مولاي .. ألم تقل إن له أولادا .
- الأمير : بلى ، إنه ذو عيال .

- الزوجة : أليس له بنات ؟
- الأمير : بلى ، إن له لبنية .
- الزوجة : فكم تبلغ من العمر ؟
- الأمير : أظنها فى الخامسة عشرة ؟
- الزوجة : لقد وجدت الطريق يا مولاي .
- الأمير : فقولى بربك .
- الزوجة : انتظر بعض الحين ، ثم اذهب إلى عفراء مرة أخرى .
- (موسيقى)
- الراوية : وألقت الزوجة إلى زوجها برأى وجد فيه خيرا ، فهو يذهب إلى عفراء يقول به .
- الأمير : عفراء .
- عفراء : مولاي .
- الأمير : قدمت فى أمر وودت لو أجبتني فيه .
- عفراء : إن كان فى الطوق يا مولاي .
- الأمير : هو رجاء .
- عفراء : بل أمر مولاي ... إن استطعت .
- الأمير : إننى أخطب إليك ابنتك .
- عفراء : ابنتي ؟
- الأمير : أجل ابنتك سعاد .
- عفراء : ولابن من الخطبة يا مولاي ؟
- الأمير : لابن أخى الأمير شهاب .
- عفراء : أما ذا فنعم يا مولاي .. أما هذا الرجاء يا مولاي فيانى أجيبه على شرط .
- الأمير : وما هو ؟

عفراء : أن يكون الأمير شهاب قد طلب هذا الزواج ، لأنه يريد ابنتى
لا لأنك أرغمته عليه .

الأمير : وأقسم ما أرغمته .

عفراء : وإنى قبلته يا مولاي .

الأمير : لقد قبلت يا سامية .

الزوجة : وهكذا يا مولاي أتاح الله لك أن تمد يد العون إلى عائلة صديقك
من غير أن تظهر هذه اليد ، فهى ملفوفة فى غشاء كريم من
الكتمان . ستعطى المال لابن أخيك وابن أخيك يقوم بشأن الأسرة
فى ستار الخير .

(موسيقى)

الراوية : كم هى رائعة تلك المثل يضربها الأولون .. فإنهم ليجزعون اليوم
عن الجهاد إلى الهدوء .. وإنهم ليجزعون من الموت إلى الحياة ،
وإنهم ليجدون إكرام الميت فى النواح الكاذب . حتى إذا
استعصت الدمعة وأراد الجرح أن يندمل استأجروا أو استأجرت
النائحات لتمزقن الجراح وليهتكن على الميت حرمة .. وإنهم
ليجحدون الصداقة وينكرون الود .. وإنهم ليمنعون الخير ، فإن
بذلوه استردوه بالمن الكاذب وبالتظاهر المتكبر .. لو أنهم ألقوا
ناظرهم إلى أمجاد آبائهم .. هددت نفس لهم تشور إلى الشر ،
ولأقامت أخلاقهم على الطريق القويم . نظرة إلى الماضى ..

(انتهى)

مؤلفات الأستاذ ثروت أباطة

- ثم تشرق الشمس
- لقاء هناك
- هارب من الأيام
- جذور فى الهواء
- أمواج ولا شاطئ
- الغفران
- خشوع
- بريق فى السحاب
- لحات من حياتى
- طارق من السماء
- القصة فى الشعر العربى
- خواطر

- ذكريات طه حسين
- ذكريات لا مذكرات
- وبالحق نزل
- السرد القصصي في القرآن الكريم
- الضباب
- قصر على النيل
- ابن عمار
- جداول بلا ماء

رقم الإيداع : ٢٠٠١/٧٤٧٤

التقييم الدولي : 5 - 1411 - 11 - 977 - I.S.B.N.

دار مصر للطباعة
بيعت بمؤسسة الصحافة وشؤون
الصحافة

الناشر
مكتبة مصر
بيعت عمارة السحابة
شارع كامل صدق - الفجالة
ت: ٥٩٠٨٩٢٠

دار مصر للطباعة
بيعت عمارة السحابة